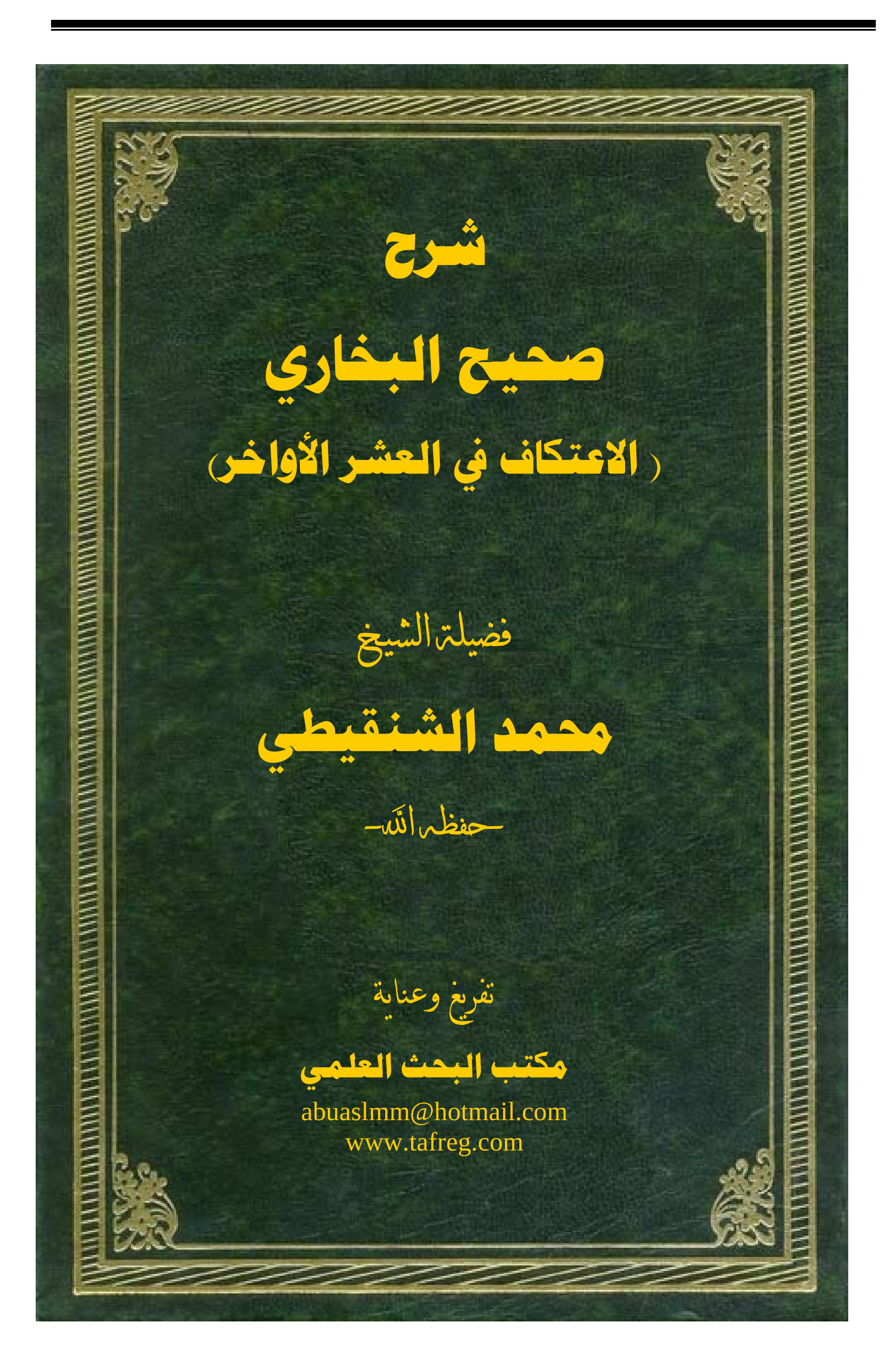
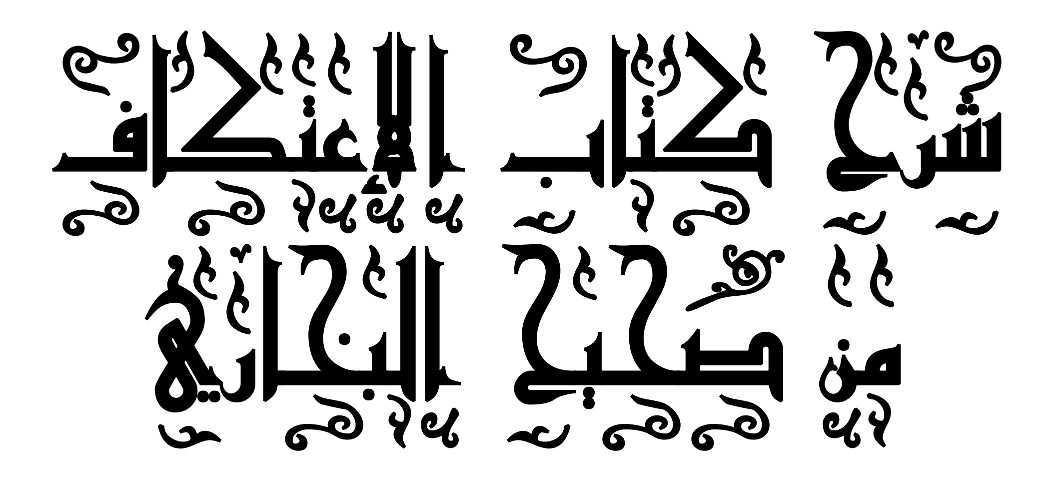

شرح
صحيح البخاري
(الاعتكاف في العشر الأواخر)
فضيلة الشيخ
محمد الشنقيطي
-حفظه الله-
تفريغ وعناية
مكتب البحث العلمي
abuaslmm@hotmail.com
www.tafreg.com



شرح فضيلة الشيخ

محمد بن محمد المختار الشنقيطي

-حفظه الله-

تنبيه : كان إلقاء هذا المجلس المبارك في تاريخ ١٤٣١/٠٩/٢٢هـ واستمر الدرس لمدة (٣ ساعات و٢٤ دقيقة) وهو ضمن الدورة العلمية للشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

(المتن)

قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى : باب الاعتكاف في العشر الأواخر والاعتكاف في المساجد كلها لقوله تعالى: ﴿ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٧]^.

(الشرح)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد استفتح الإمام البخاري رحمه الله، هذا الكتاب كتاب الاعتكاف بهذا الباب المتعلق ببيان موضع الاعتكاف، والاعتكاف عبادة جليلة، ثبتت بمشروعيتها أدلة الكتاب والسنة وأجمع العلماء رحمهم الله على مشروعيتها وفضلها، ويتأكد استحباب الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان، لأن النبي ﷺ اعتكف في رمضان وداوم على اعتكافه، حتى فارق الدنيا صلوات الله وسلامه عليه، وهذا الاعتكاف حرص عليه النبي ﷺ التماسًا لليلة القدر كما

صحت بذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ في الصحيحين وغيرهما، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى جعل في هذه الليلة الشريفة ليلة القدر، ما لم يجعله في غيره من الليالي، وقد بين الله سبحانه وتعالى أنها خير من ألف شهر، وبين شرفها وفضلها حينما خصها في القرآن بسورة كاملة وأجمع العلماء رحمهم الله على أنها أفضل ليالي العام، وأن من قامها إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، لأن النبي ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»، ولذل حرص النبي ﷺ على الاعتكاف، واعتكف صلوات الله وسلامه عليه في أول الشهر أي العشر الأول يظن أن ليلة القدر فيها، ثم اعتكف عليه الصلاة والسلام العشر الوسطي من رمضان، كما ثبت في الصحيحين عنه عليه الصلاة والسلام فلما كان يوم العشرين وهو آخر العشر الوسطي، نزل عليه جبريل عليه السلام، وأخره أن ليلة القدر أمامه، فقال للنبي ﷺ:**(إن الذي تطلبه أمامك)**، أي إن ليلة القدر التي تطلب شرفها وقدرها باعتكافك هي أمامك، أي في العشر الأواخر من رمضان، فأمر عليه الصلاة والسلام أصحابه الذين خرجوا أن يرجعوا إلى الاعتكاف، وبين لهم أن ليلة القدر في العشر الأواخر، وهذا الحديث في الصحيحين عنه عليه الصلاة والسلام، فدل على أن النبي ﷺ كان يلتمس باعتكافه بلوغ ليلة القدر لأنه عليه الصلاة والسلام لما تبين له أنها ليست في العشر الوسطي وأخبر أنها في العشر الأواخر بقي عليه الصلاة والسلام ونقل اعتكافه إلى العشر الأواخر، فدل على أن تخصيصه وحرصه عليه

الصلاة والسلام على اعتكاف العشر المراد به إدراك فضيلة ليلة القدر، وهذا أصل عظيم إذا تأمله المسلم أدرك أنه ينبغي حمل الأمة على التماس ليلة القدر في العشر الأواخر، وأن تخصيص ليلة بعينها على وجه يعتقد أنها هي ليلة القدر وحدها بحيث يترك العبادة في غيرها كما يفعله العوام أمر مخالف للسنة وهدي النبي ﷺ، بدليل أنه أخبر أنها في الوتر من العشر الأواخر ومع ذلك حرض على اعتكاف العشر شفعًا ووترًا، فهذا يدل على أن الاعتكاف وإن كان المراد به ليلة القدر فإنه أعظم من ذلك وهو قصد العبودية لله سبحانه وتعالى، والجد والاجتهاد في طاعته حتى يخرج الإنسان من معتكفه على أتم الوجوه وأكملها من الحرص على الطاعات والباقيات الصالحات التي هي الهدف من خلقه وإيجاده في هذه الدنيا، ترجم المصنف رحمه الله بقوله: أبواب الاعتكاف. وهذه الأبواب عددها وخالف بينها لاختلاف مسائلها وأحكامها وما ورد عن رسول الله فيها والاعتكاف أصله من العكوف على الشيء وهو لزومه، يقال: عكف على الشيء يعكف عكوفًا إذا لازمه ولم يفارقه، سواء كان ذلك في طاعة أو في غيرها، يكون الاعتكاف في الطاعات كالاعتكاف في المساجد، كما في قوله تعالى: ﴿وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ ويكون الاعتكاف في غير الطاعة كما قال سبحانه حكاية عن نبيه الخليل عليه وعلى نبيا الصلاة والسلام منكرا على قومه: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾[الأنبياء:٥٢]^٨،

وقوله: ﴿التي أنتم لها﴾ أي عليها، فاللام بمعنى على، وهو من معاني اللام كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[الإسراء:٧]^٨، أي فعليها.

والاعتكاف في شريعة الإسلام؟ هو لزوم مخصوص لشيء مخصوص من شخص مخصوص بنية مخصوصة على صفة مخصوصة، فهذا اللزوم المخصوص خرج به مطلق المعنى اللغوي فالاعتكاف في الشريعة، مقيد والاعتكاف في اللغة مطلق، ولذلك لا يمكن أن يسمى الاعتكاف اعتكافا في شريعة الإسلام، إلا إذا كان على الصفة الواردة في الكتاب والسنة، وأما قولهم: لمكان مخصوص. فهو المسجد فلا يصح الاعتكاف في البيت، ولا يصح الاعتكاف في غير المسجد كالمزرعة ونحوها، بل لابد أن يكون في المسجد وجمهور العلماء على أن المرأة لا يصح منها أن تعتكف في مسجد بيتها، وذهب الحنفية رحمهم الله إلى أن المرأة يصح اعتكافها في مسجد بيتها من حيث الجملة وعندهم تفصيل في المذهب، والصحيح ما ذهب إليه الجمهور لظاهر قوله سبحانه: ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ فألف المساجد للمعهود الشرعي وهو المسجد الذي يصدق عليه في حكم الشرعي أنه مسجد، وقولهم: من شخص مخصوص. هو المسلم، العاقل المميز الطاهر من الحدث الأكبر، فلا تلبس الحائض ولا النفساء في المسجد، وإذا نزل الحيض على المرأة المعتكفة فإنها تخرج إلى رحبة المسجد كما وردت بذلك السنة وهو قول طائفة من أصحاب النبي ﷺ، ولا يحكم ببطلان اعتكافها في أصح قولي العلماء وهو مذهب الجمهور، وقولهم: بينة مخصوصة. المراد بهذه

النية المخصوصة هي نية التقرب لله ﷻ، وقصد الاعتكاف فالذي يريد أن يعتكف ينبغي له أمران:

الأمر الأول: أن يكون المقصود من اعتكافه وجه الله سبحانه وتعالى، فلا يكون اعتكافه رياء ولا سمعة ولا غير ذلك من النية المخالفة للشرع، بل إنه يخرج من بيته حين يخرج إلى معتكفة طالبًا لمرضاة الله مبتغيًا ما عند الله ملتمسًا التجارة الرابحة مع الله سبحانه وتعالى، فلا يكون الاعتكاف اعتكافًا شرعيًا إلا إذا قصد صاحبه وجه الله، وهو شرط العمل الصالح.

وثانيًا: أنه إذا دخل المسجد أو أراد المكث فيه استحضر أنه يقصد الاعتكاف، فلا يكون الاعتكاف لمجرد اللبث والجلوس في المسجد، وسيأتي بالسبة لهذا الاعتكاف أن لا يتقيد بزمان، فيجوز لك إذا دخلت المسجد في أي ساعة من ليل أو نهار أن تنوي أنك معتكف فيه الساعة، والساعتين والثلاث ساعات، والأربع ساعات، ولا يشترط في الاعتكاف أن يكون يومًا كاملًا، ولا يشترط فيه في أصح قولي العلماء أن يكون مصحوبًا بالصوم، بل إنه يصح في الليل كما يصح بالنهار، ويصح في أجزاء النهار من الصائم وغير الصائم لما ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه عمر بن الخطاب ﵁ سأله أنه نذر في الجاهلية أن يعتكف ليله، فأمره النبي ﷺ أن يوفي بنذره فدل على أنه لا يشترط في صحة الاعتكاف أن يكون الإنسان صائمًا، ولا يشترط أن يستغرق اليوم تامًا كاملًا وهو اعتكاف اليوم والليلة، وقوله رحمه الله: أبواب الاعتكاف في العشر الأواخر.

الاعتكاف له صورتان:

الصورة الأولى: الاعتكاف المطلق الذي يشمل سائر العام.

والصورة الثانية: الاعتكاف المقيد بالزمان وهو اعتكاف العشر الأواخر، أو اعتكاف النذر المعين الذي يقصد به أيام معينة أو ليالي معينة، والإمام رحمه الله البخاري ترجم بهذه الترجمة التي خص فيها الاعتكاف بالعشر الأواخر وإلا فالأصل في الاعتكاف أنه يصح في رمضان وفي غير رمضان، ويصح في العشر الأواخر وفي غير العشر الأواخر، وإنما نص رحمه الله على العشر الأواخر بفضلها وشرفها، وتأكد استحباب الاعتكاف فيها، فالاعتكاف مستحب لكنه في العشر الأواخر من رمضان آكد استحبابا كما يقول العلماء رحمهم الله.

والعشر الأواخر أل في الأواخر للعهد، والمراد بها العشر الأواخر أل المراد بها هنا وهي العهد الذهني والمراد بها العشر الأواخر من رمضان، ورمضان فيه العشر الأوائل، والعشر الأواسط، والعشر الأواخر وإذا قيل: في الشهر العشر الأواخر فهي الأيام العشرة من آخر الشهر، ويشمل ذلك ما إذا كان الشهر تامًا فهي عشر تامة أو كان الشهر ناقصًا كأن يكون تسع وعشرين يوما فهي عشر أواخر لأن الله يكتب فيها الأجر تامًا كاملًا للعبد كما ثبت في الصحيح من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «الشهر هكذا وهكذا»، أي يكون تسعًا وعشرين ويكون ثلاثين، ولما ثبت في الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «شهرا عيد لا ينقصان رمضان وذو الحجة»، قال

بعض العلماء: فيه دليل على أن رمضان إذا كان تسعا وعشرين كتب الله الأجـر للأمة ثلاثين يومًا وإن كانت صامت تسعة وعشرين. وهكذا من نوى اعتكاف العشر الأواخر ثم إنه ثبت أن الشهر تسع وعشرين كتب له الشهر كامل، وهذا راجع إلى أصل شرعي لأن في نيته وعقيدته أنـه يـتم العشرـ وشـاء الله ألا تـتم فيكتب له ما نوى كالعامل إذا عمل عنـد الإنسـان واسـتأجره يومًـا كـاملًا ولم يعمل عنده فإنه يستحق الأجر إذا كان المنع من رب العمل، فهـذا مـن أمـر الله سبحانه وتعالى، وقوله: العشرـ الأواخـر. يتأكـد اسـتحبابها كـما ذكرنـا ويبـدأ اعتكافها أن يدخل المعتكف ويدخل المسـجد قبـل مغيـب الشـمس مـن يـوم العشرين من رمضان، لأنه إذا غابت عليه الشمس وهـو داخـل المسـجد فقـد استتم العشر كاملة، لأن العشر تبدأ بمغيب الشـمس يـوم العشرـين مـن شـهر رمضان، فهذا هو الذي يحقق الإنسان به الاعتكاف للعشر تامًا كاملًا، فتنتهـي بمغيب شمس آخر يوم من رمضان، فإذا غابـت الشـمس يـوم الثلاثـين جـاز للمعتكف أن يخرج من معتكفه ولا يشترط أن يبقى إلى صـلاة العيـد، بـل إنـه يخرج بمغيب الشمس من اليوم الثلاثين من رمضان، أما لو كانـت ليلـة العيـد ليلة شك فإنه ينتظر حتى يثبت أنها من العيد، فإذا ثبت أنها من العيد ولـو بعـد صلاة العشاء خرج مباشرة لأنه تبين أن هذه الليلية ليست من رمضان.

(المتن)

والاعتكاف في المساجد كلها.

(الشرح)

يقول رحمه الله: والاعتكاف في المساجد كلهـا. بيـان لمحـل الاعتكـاف أن المحل والموضع الذي يشرع فيـه الاعتكـاف هـو المسـجد، وجمعهـا في قولـه: المساجد. جمع مسجد، والمسجد هو موضع السجود سمي الشيء بـما يقـع فيـه كالمقبرة مكان القبر، وقوله: المساجد كلها. تعميم وهو مذهب جمهـور العلـماء والأئمة من السلف والخلف أن الاعتكاف لا يختص بالمسـاجد الثلاثـة وهـي: المسجد الحرام، ومسجد النبـي ﷺ، والمسـجد الأقصىـ، ويقـال في ضـبط هـذه المساجد الثلاثة: مسجد النبي. قال بعض السلف: أنه لا يصـح الاعتكـاف إلا إذا كان في مسجد نبي لأن هذه المساجد الثلاثة مساجد أنبيـاء أي أنهـا شـيدت وبنيت من الأنبياء، فالمسجد الأقصىـ قيـل أن داوود وسـليمان علـيهما السـلام بنياه، وجدده سليمان عليه السـلام كـما في حـديث النسـائي وغـيره، وكـذلك مسجد النبي ﷺ بناه عليه الصلاة والسلام ونسبه إليه فقال: «مسـجدي هـذا». وأما المسجد الحرام فقد رفع قواعده الخليل وقيل: إنه موجود من أول الخلـق. هذا القول أثر عن حذيفة بن اليمان وهو قول بعـض السـلف كـالزهري، وهـو قول عن مالك وجماهير العلماء والأئمة من الصحابة والتابعين ومن بعـدهم أن

الاعتكاف يصح في غير المساجد الثلاثة من حيث الجملـة، والإمـام البخـاري رحمه الله بين لنا بهذا أنه يجوز لك أن تعتكف في كل ما يصدق عليه أنه مسـجد، لكن من العلماء من يقول بوجوب الصلاة مع الجماعة، الذين يقولون بوجـوب الصلاة مع الجماعة لا يصححون الاعتكاف في مسجد لا تقام فيه الجماعة، وأما على القول بعدم وجوب الصـلاة مـع الجماعـة فيصـح عنـدهم أن يعتكـف في مسجد الحي الذي تصلى فيه بعض الصلوات، فلو كان هناك مسـجد في حيـك تصلى فيه ثلاثة فروض أو يصلي في أربعة فروض أو يصلى فيه فرضان كمساجد العمال ونحوها وأراد الإنسان أن يعتكف فيه صح اعتكافـه في مـذهب جمهـور العلماء لعموم الآية الكريمة، أما لـو أنـه أراد أن يعتكـف أسـبوعًا أو يعتكـف العشر تامة كاملة فإنه يعتكف في مسجد يجمـع فيـه، لأن لابـد لـه مـن صـلاة الجمعة وهي واجبة عليه ولذلك ينبغي أن يكـون اعتكافـه في مسـجد الجمعـة وتفصيل ذلك في الفروع.

(المتن)

لقوله تعالى: ﴿وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾.

(الشرح)

أي هذا الحكم من كون الاعتكاف يصح في المساجد كلها لقوله تعالى: ﴿وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ واللام للتعليل، و التعليل المراد به هنا الاستدلال، وهو منهج العلماء رحمهم الله، إذا جاء الحكم متبوعًا بهذا الحرف في نص من الكتاب أو نص من السنة فهو استدلال سواء من الكتاب أو من السنة تقول: يجب هذا لقوله تعالى. ويجب هذا لقوله عليه الصلاة والسلام، هذا الاستدلال، وقوله: لقوله تعالى: ﴿وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ﴾، ﴿لا﴾ ناهية والنهي يدل على التحريم، لأن القاعدة في الأصول وهو مذهب جمهور العلماء أن الأصل في النهي أن يحمل على التحريم حتى يدل الدليل على الكراهة، وقوله سبحانه: ﴿وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ﴾، ﴿تباشروهن﴾ تفاعلوهن المفاعلة هنا مأخوذة من البشرة، والمراد بالمباشرة إلصاق البشرة بالبشرة ، وتأتي على صورتين في القرآن: إما أن يراد بها الجماع وهي غاية المباشرة، وإما أن يراد بها مقدمات الجماع كأن يقبل امرأته ويلمسها بشهوة، فذهب جمهور العلماء والمفسرين، وهو ينسب كما يعبر بعض أئمة التفسير بالأكثر إلى أن المراد بقوله: ﴿وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ﴾ أي ولا تجامعوهن، فدل على تحريم الجماع على المعتكف، وهذا

محل إجماع بين العلماء رحمهم الله أن الاعتكاف يبطل بـالجماع، فلـو أن شخصًـا كان معتكفًا ثم خرج إلى بيته لقضاء حاجة فتحركت شهوته فجامع امرأته بطل اعتكافه، وعليه أن يستأنف من جديد، وهذا بإجماع العلماء رحمهم الله، فـالجماع مفسد للاعتكاف قولًا واحدًا.

الوجه الثاني في قوله تعـالى: ﴿وَلا تُبَـاشِرُوهُنَّ﴾: أن المـراد بـه مقـدمات الجماع، فقالوا أن الآية الكريمة نهت عن التقبيل واللمس بشـهوة، فـلا يلمـس امرأته إذا كان معتكفًا وخرج إلى بيته، أو كانت امرأته معتكفة معه في المسـجد، أو جاءت تزوره في المسجد، كما ورد عن النبي ﷺ في حـديث صـافية رضي الله عنها فلا يجوز له أن يلمسها بشهوة ولا أن يقبلها بشهوة، وهذا التفسير هو قول زيد بن ثابت ﷺ وهو قول مالك رحمه الله، ومحل الخلاف إنـما هـو في المقصـود بالآية نصًا، هل المقصود الجماع أم المقصود بها مقدمات الجماع؟ أما مـن حيـث الحكم فكلهم مجمعون على أنه لا يجوز للمعتكف أن يبـاشر امرأتـه بشـهوة، لا يجوز له أن يقبلها بشهوة، ولا يجوز له أن يلمسها بشـهوة، كلهـم متفقـون عـلى هذا، إنما الخلاف معنى الآية الكريمة، لكن السؤال طبعًا على قول زيد بن ثابت والإمام مالك رحمه الله، ورضي الله عن زيد وعن أصـحاب النبـي ﷺ أجمعـين، بناء على هذا القول الذي يقول: إن الآية المراد بها مقدمات الجماع. يتفقون عـلى القول الأول أنه إذا كان يحرم على المعتكف أن يلمس ويقبل بشهوة، فمن بـاب أولى يحرم عليه أن يجامع، فهم متفقون عـلى تحـريم اللمـس والمبـاشرة بشـهوة،

ولكن يرد السؤال لو أنه خرج من معتكفه إلى بيته، أو جاءته امرأته تزوره في المسجد، فقبلها بشهوة أو لمسها بشهوة هل يبطل اعتكافه؟ جمهور العلماء على أنه لا يبطل الاعتكاف إلا إذا أنزل، وأما المالكية فإنه يبطل عندهم الاعتكاف، والصحيح وما ذهب إليه الجمهور والنظر يقويه أولًا أن الآية الكريمة المراد بها الجماع كما قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن الله يكني. وبين قتادة بن دعامة رحمه الله من أئمة التفسير وهذا بسند صحيح عنه: أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يخرجون من المسجد ويصيبون النساء ثم نزلت الآية فحرمت ذلك عليهم، وفسر ابن عباس رضي الله عنها أن المباشرة ونحوها كاللمس والمس في القرآن أنه كناية ولذلك قال رضي الله عنه كما بسند صحيح عنه: **(أن الله يكني)** أي أن هذا من الكناية فيكون المراد بقوله: ﴿وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ﴾ أي ولا تجامعوهن كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة:٢٣٧]^ المراد به الجماع، وبناء على ذلك يترجح قول الجمهور ومما يرجحه القياس والنظر الصحيح، فإن الشرع يقوى بإلحاق النظير بنظيرة، تبين أحكام الشريعة بالإلحاق النظير بنظيره، فالصوم والحج لا يبطل بمباشرة المرأة بشهوة ما لم يحصل به إنزال، وبناء على ذلك لا يبطل الاعتكاف إذا قبل أو لمس بشهوة إلا إذا أنزل وهو مذهب جمهور العلماء والأئمة رحمهم الله.

يقول سبحانه: ﴿وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ﴾ الضمير في قوله: ﴿هن﴾ أي النساء، لأنه صدر الآية بقوله سبحانه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾

[البقرة:١٨٧]^ فالمراد بقوله: ﴿وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ﴾ أي ولا تباشروا النساء، والمباشرة تنقسم إلى قسمين إذا كانت بمقدمات الجماع: إما أن تكون المباشرة بشهوة، كما ذكرنا في التقبيل واللمس بشهوة، لو لمس أي عضو من المرأة بشهوة فهذه من مقدمات الجماع ومن المباشرة المحرمة.

الصورة الثانية: أن تكون المباشرة بدون شهوة، مثل أن يلمس امرأته أو يقبلها حنانا أو رحمة، رآها تألمت من شيء فقبلها حنانًا ورحمة، أو جبرًا لخاطرها لا لمعنى الشهوة فإنه بالإجماع لا يؤثر ذلك في اعتكافه والدليل على ذلك ما ثبت في الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام إنه كان يدني رأسه لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهو معتكف في المسجد فتغسل له رأسه وترجله كما سيأتي إن شاء الله تعالى، فدل هذا على أن اللمس للمرأة من دون شهوة فهو لا ينقض الاعتكاف ولا يؤثر فيه، يقول جل جلاله: ﴿وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ جملة حالية.

وقوله: ﴿عاكفون﴾ فيه مسائل:

المسألة الأولى: أن التعذير بقوله: ﴿عاكفون﴾ يدل على أن من أراد أن يعتكف في مسجد أنه لا يفارقه، لأن أصل هذه المادة في لسان العرب ولغة العرب تدل على الزوم وانتفاء المفارقة و من هنا أجمع العلماء رحمهم الله على أنه لا يجوز للمعتكف أن يخرج من معتكفه بدون حاجة، وأجمعوا على أنه لو خرج من معتكفه بدون حاجة بطل اعتكافه، ثم اختلفوا في ضابط الخروج فقال

جمهور العلماء: لو خرج بمجرد أن يخرج جسده كاملًا من المسجد أو أغلب الجسد من المسجد ولو للحظة واحدة بطل اعتكافه، لأنه يناقض هذه الحقيقة اللغوية وهي لزومه المسجد، وقال الحنفية: أنه يبطل اعتكاف ثم اختلفوا في الضابط فالمذهب على أنه ساعة، والمراد بالساعة ليس الساعة التي هي جزء من أربع وعشرين ساعة، التي هي أجزاء النهار كما في حديث أبي داوود، والساعة المعروفة عندنا اليوم وهي الستون دقيقة وإنما المراد بالساعة القدر من الزمان والفرق بين القولين: أنه إذا خرج ثم رجع مباشرة كطرف العين ونحوه، انتقض اعتكافه عند الجمهور ولم ينتقض عند الحنفية، وذهب الصاحبان إلى أن العبرة بأكثر النهار أنه إذا خرج فجلس خارج المسجد أكثر النهار بطل اعتكافه، والصحيح ما ذهب إليه الجمهور لظاهر هذه الآية في مفهوم اللفظ في لسان العرب.

المسألة الثانية في قوله: ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ يدل على أنه لا يخرج من المسجد، فاتفقوا على أنه إذا خرج من دون حاجة بطل اعتكافه والعبرة بالخروج بأكثر الجسد، وبناءً على ذلك لو أنه خرج من باب المسجد أخرج جسمه من باب المسجد، ووضع ركبتيه بعد الباب خارج المسجد وبقيت قدماه دخل المسجد بطل اعتكافه لأن أكثر الجسم خارج المسجد والدليل على هذا أن النبي ﷺ بين أن العبرة بأكثر الجسد لأنه ثبت في الصحيح عنه ﷺ من حديث أم المؤمنين عائشة أنه كان يخرج رأسه إلى أم المؤمنين، من أجل أن تغسله وترجله،

فخرج جزء من الجسد وبقي أكثر الجسد، فدل على أن الاعتكاف لا ينتقض بخروج الجزء الأقل وأن العبرة بالأكثر، لأنه صحح اعتكافه لأن أكثر جسده داخل المسجد فصار إذا صار العكس وهو أن يكون الجسد خارج المسجد، وأقل الجسد داخل المسجد، كان صورة عكسية موجبة للحكم ببطلان الاعتكاف، أما إذا كان الخروج لحاجة، الحاجة مثل قضاء الحاجة من بول أو غائط ونحو ذلك مما لابد للإنسان منه فإنه لا يبطل اعتكافه ولكن يشترط أن تكون هناك حاجة بحيث لا يمكنه أن يقضي هذه الحاجة وهو داخل المسجد، فلو أنه احتاج للبول وأمكنه أن يبول في الإناء وهذا وارد عنه عليه الصلاة والسلام وهو ما يسمى بالمبولة، وهو الإناء الذي يبال فيه، فأجاز بعض العلماء أذا بال في إناء داخل المسجد أجاز له البول لأن المنع من البول داخل المسجد إنما هو لمكان التلويث، فقرر بعض العلماء أنه لا يخرج وإن كان الأقوى أنه يخرج، لأن النبي ﷺ بين أن المساجد لها حرمة والبول فيها سواء مع الصيانة أو غير الصيانة فيه نوع من ذهاب الحرمة، ولذلك يجوز له أن يخرج من المسجد أن يقضي حاجته من البول والغائط، وأما الأكل فإنه إذا وجد من يحضر له الأكل إلى المسجد وأمكن دخول الأكل إلى المسجد فإنه لا يجوز له الخروج من المسجد، وحينئذ إذا خرج وأمكن إحضار الأكل له وإحضار الشراب له فأحضر له أكله وأحضر له ما يشربه وخرج مع تيسر ذلك بطل اعتكافه لأن خروجه من غير حاجة، لا يؤثر في الاعتكاف الخروج لوجود الحاجة، وبناء

على ذلك يجوز للمعتكف أن يخرج لحاجة، لأن النبي ﷺ كان من هديه أنه خرج من مسجده لحاجة، وإذا خرج للحاجة تقيد بها فإن كان هناك موضعان: موضع قريب من المسجد يمكنه أن يقضي فيه حاجته وموضع بعيد عن المسجد فإنه يجب عليه أن يقضي في الأقرب ولا يجوز له أن يذهب إلى الأبعد والقاعة في الشرع "أن ما جاز لحاجة مقدر بقدرها"، فلما كان الموضع القريب تقضي فيه الحاجة وبه الحاجة لم يجز له أن يتوسع، ومثال ذلك في زماننا إذا كان هناك موضعان، من دورات المياه: أحدهما أقرب إلى المسجد والثاني أبعد، فإنه لا ينتقل إلى الأبعد ما إن كان الأقرب، لكن هنا مسألة تحتاج إلى نظر وهي لو كانت الدورات أماكن قضاء الحاجة القريبة من المسجد عليها زحام شديد بحيث يستغرق الساعة أو الساعة إلا ربع وبعض الأحيان يستغرق أكثر من ساعة في بعض الأحيان، وهناك موضع أبعد ولكنه يمكنه خلال عشر دقائق أو خمس دقائق أن يقضي حاجته بحيث لو ذهب ورجع فإنه يقضي حاجته في زمان أقل من الوضع القريب فالذي يظهر أنه يذهب إلى الوضع الأبعد لأنه أقرب فأصبح القريب لا تأثير لقربه لأن المعنى الذي قدمنا به القريب هو حفاظ على وقت الاعتكاف وبناء على ذلك ينتقل إلى الأبعد ويقضي حاجته في الأبعد مثل أن يكون له سكن أو يكون له في ندق أو نحو ذلك، ولكنه يستطيع أن يقضي حاجته بسرعة ويعود فإنه يقدم على الموضع الأقرب، لأن المراد بالأقرب الحفاظ على وقت الاعتكاف.

يقول سبحانه: ﴿وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾، ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ فيه دليل على أن الاعتكاف لا يصح إلا في المسجد كما تقدم معنا وفيه دليل على أنه يصح في المساجد كلها، وأنه إذا صدق على الموضع أنه مسجد شرعًا جاز للمسلم أن يعتكف فيه، وفي قوله سبحانه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾[البقرة:١٨٧][٨]، الحدود جمع حد والحد أصله المنع، وسميت الحدود الشرعية حدودًا لأنها تمنع صاحبها تمنع الناس من استباحتها وانتهاكها، واختلف العلماء أئمة التفسير في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ قال بعض العلماء: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي جميع ما يبين من الآيات الواردة في كتاب الله ﷻ فهي حدود الله ﷻ اعملوا بما أمركم الله ﷻ به واجتنبوا ما أمركم الله باجتنابه، وهذا المعنى عام، وقيل في قوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي هذه المسائل الخاصة بالاعتكاف من كونه لا يجوز للمعتكف أن يخرج من معتكفه ولا يباشر النساء، وهي المعاني المستنبطة لحرمة هذه العبادة، وكلا الوجهين محتمل، الوجه الأول: عام. والثاني: خاص. والتفسير تارة يكون عامًا وتارة يكون خاصة، والترجيح بين العام والخاص له ضوابط، تارة يرجح بالسياق والسباق سياق الآية وسباقها، وتارة يرجح بالمنقول من السنة عن رسول الله ﷺ بما يدل على التقييد والتخصيص، وتارة يرجح بلسان العرب، وعلى كل حال فالآية محتملة للوجهين، ﴿فَلا تَقْرَبُوهَا﴾ نهى من الله سبحانه وتعالى عن قربان الحدود الشرعية، وفيه قوله: ﴿فَلا تَقْرَبُوهَا﴾ بلاغة، وكل كلام الله بليغ، لأنه إذا نهى

عن القربان من الشيء فمن باب أولي ألا يتلبس بفعله كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ ﴾[الأنعام:١٥١]^٨، فقوله: ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ ﴾ أي أن الإنسان لا يتعاطى الأسباب التي توجب قربه من فعل الفاحشة من النظر المحرم واللمس المحرم، والخلوة المحرمة، والسفر مع غير ذات المحرم ونحو ذلك من المسائل التي تنتهي بالوقوع في الحرام، ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ ﴾ أي مثل ذلك ﴿ يبين الله ﴾ البيان هو الوضوح بان الصبح إذا اتضح ضوءه: ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ ﴾ الآيات جمع أية وأصلها العلامة الواضحة، وآيات الله ما أنزله سبحانه في كتابه، وعلى رسوله ﷺ في سنته الصحيحة الثابتة عنه، فكله من آيات الله حتى ولو اشتمل على الأمر والنهي لأنه آية، فإن الله ما أمر بشيء ولا نهى عن شيء إلا وفيه الحكمة البالغة والخير العظيم، فهو آية دالة على عظمته وجلاله وحكمته وعلمه فلا أصدق من الله قيلًا، ولا أحكم من الله حكمًا ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾[الإسراء:١٢]^٨، ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[الأنعام:١١٥]^٨، ﴿ لعلهم يتقون ﴾ والتقوى أصلها من الوقاية، وقيل: المراد بها أن يجعل الإنسان بينه وبين غضب الله وسخط الله وقاية. أو يجعل بينه وبين حدود الله ومحارم الله وقاية. وأعظم وقاية يجعلها العبد بتوفيق الله هي الخوف من الله، والخشية من الله سبحانه وتعالى واستشعار أن الله يسمعه ويراه، فما من عبد قذف الله في قلبه هذه النور إلا كان فرقانًا يفرق به بين الحق والباطل، فما هذب

أخلاق المؤمنين ولا قوى مسيرتهم، ولا أوجب لهم بتوفيق الله الاستقامة على دين الله وشرع الله شيء أعظم من الخشية والخوف من الله ﷻ، ولذلك خصها الله بصفوته من عبادة بعد الأنبياء والرسل وهم الأنبياء، وهذا يدل على أنه ينبغي للمسلم أن يأخذ بهذا السبب العظيم الذي يجعل بينه وبين عذاب الله وقاية، في هذه دليل على أن العلم طريق للتقوى وأن أهل العلم أهل التقوى كما قال سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[البقرة:٢٨٢]^، لأنه بين سبحانه وتعالى أنه بين هذه الآيات من أجل أن يتقيه العباد، والذي يعلم حلال الله وحرام الله، فما أحل الله يأتيه وما حرم الله يتركه هذا هو المتقي، قال بعض أئمة السلف: (**تقوى الله أن تعبد الله على نور من الله، ترجوا ثواب الله وتخشى عذاب الله**)، وقالوا: (**إن التقوى ترك محارم الله وفعل فرائض الله**)، وكلها معاني تدور حول معنى واحد، فمن فعل ما أمر الله بفعله وترك ما حرم الله عليه فقد اتقى الله وهذا معنى قول بعض السلف: (**ألا يفقد حيث يحب أن يراك، وألا يراك حيث يحب أن يفقدك**)، فالله يحب أن يراك في الصلاة مع الجماعة، وأن يراك في الجمع والجماعات، فتحرص على أنه لا يفقدك في هذه المكان، ولا يحب الله أن يراك في مواطن المحرمة التي تسخطه وتغضبه ولذلك قال سبحانه: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾[النساء:١٤٠]^ فحرم علينا الجلوس في المكان الذي يعصى فيه، فإذا كان الإنسان لا يجلس ولا يكون في الموضع الذي

يحب الله أن يفقده فيه، ولا يفقد في الموضع الذي يحب أن يراه الله فيه فهـو مـن أهل التقوى، اتقى الله، والتقوى سبيل الخير في الدنيا والآخرة، فما خـرج عبـد مـن الـدنيا بـزاد أحـب إلى الله منهـا: ﴿وَتَـزَوَّدُوا فَـإِنَّ خَـيْرَ الـزَّادِ التَّقْوَى﴾[البقرة:١٩٧]^، وما لقي عبد ربه بشيء هو وسيلة نافعة شافعة مثـل تقواه وإذا استكمل التقوى فإنه يصل إلى درجات الإحسـان، والتقـوى سـبيل لكل خير، ولذلك ذكرها الله ﷻ في مواضع عديدة مـن كتابـه وأخـبر أنـه مـع أهلها، وأنه يحب أهلها وهـذا مـن أعظـم مـا يكـون في الدلالـة، عـلى فضـلها وشرفها وشرف أهلها، ولو لم يكن في التقوى إلا أن الله سـبحانه وتعـالى شـهد لأهلها بأنهم أهل ولايته فقال سبحانه: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[يـونس:٦٢-٦٣]^، ومـا أسر عبـد سريرة فيما بينه وبين الله مثل تقوى الله ﷻ، ومن كـان فـر قـراره قلبـه متقيًـا لله سبحانه ظهرت أثار تقواه على أقواله وأعماله وأفعاله، وهذا يـدل عـلى حـرص الشرع والوحي على أن يبلغ الناس هذا المبلغ وهو تقوى الله ﷻ، ومن هنا مـن حفظ وحافظ في اعتكافه على الواجبات التـي ينبغـي أن يحـافظ عليهـا، وتـرك المحرمات التي ينبغـي عليـه أن يتركهـا، وحـرص عـلى الفضـائل والكـمالات أصاب تقوى الله ﷻ جعلنا الله وإياكم من أهل التقوى، وأجب لنا ولكم المحبة والرضا وسلك بنا وبكم سبيل أهلها أنه ولي ذلك والقادر عليه.

(المتن)

حدثنا إسماعيل بن عبد الله قال: حدثنا ابن وهب عن يونس أن نافع أخبره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (كان رسـول الله ﷺ يعتكـف العشر الأواخر من رمضان).

(الشرح)

هذا الحديث فيه دليل على مشروعية الاعتكاف العشر الأواخر،

وفيه دليل على أنهـا أفضـل وأكمـل مـا يكـون في الاعتكـاف، وهـذا هـو مقصود الإمام البخاري رحمه الله، لأنه بـين الاعتكـاف المخصـوص فقـال: في العشر الأواخر. وأجمع العلماء رحمهم الله على تأكـد اسـتحباب اعتكـاف هـذه العشر، والعشر الأواخر من رمضان كما تقدم هي آخر الأمرين مـن رسـول الله ﷺ في اعتكافه، وفي قوله: كان يعتكف العشر الأواخر. يـدل عـلى أنـه داوم ﷺ وحافظ على اعتكاف هذه العشر،

وهنا مسألة هي أنه لا يشترط في صحة الاعتكـاف أنـه يعتكـف الإنسـان العشر أو يترك الاعتكاف يجوز له أن يعتكف العشر كاملة، وأن يعتكف بعـض العشر لأن القرآن أطلق في الاعتكاف فقـال: ﴿وَأَنْـتُمْ عَـاكِفُونَ فِي الْمَسَـاجِدِ﴾ فمن أراد أن يعتكف ليلة اعتكف ومن أراد أن يعتكف ليلتين اعتكف و ثـلاث

أو أربع على حسب ما تيسر له، فإن الناس يختلفون في الشغل، فإذا كان الإنسان قادر على اعتكاف العشر اعتكف العشر،

وأما إذا كان عاجزًا عن اعتكافها كاملة نظرنا فإن كان يستطيع أن يعتكف النصف فإنه يقدم الليلي الوتر على الليلي على الليالي الشفع، لأن النبي ﷺ بين في سنة أن المقصود بالاعتكاف طلب ليلة القدر، وبين بسنته أنها في الوتر أرجى من غيره فدل على تقديم الوتر على غيره، ثم بعد ذلك على حسب إذا عجز عن الأيام كلها ولم يستطع إلا بعض الأيام، اعتكف ما ظهر ورجح في اعتقاه أنه ليلة القدر من الوتر.

(المتن)

حدثنا عبد الله بن يوسف قال: حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنا زوج النبي ﷺ (أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ثم اعتكف أزواجه من بعده).

(الشرح)

(**كان يعتكف العشر الأواخر حتى توفاه الله**)، هذا الحديث فيه ما تقدم في الحديث الأول لكن فيه فائدة في قولها: (**حتى توفاه الله**) : لأن سنة النبي ﷺ منها ما يكون محكمًا، ومنها ما يكون منسوخًا، ومنها ما يكون محتملًا للإحكام والنسخ، فإذا جاء هذا اللفظ أنه داوم على القول والفعل حتى توفاه الله صار دليلًا بينًا على أنه محكم وأنه غير منسوخ

وقولها: (**حتى توفاه الله**)، دليل على أنه آخر الأمر وأنه ﷺ داوم على ذلك وحافظ عليه.

(المتن)

ثم اعتكف أزواجه من بعده.

(الشرح)

(**ثم اعتكف أزواجه من بعده**) وهذا يدل على الحرص على السنة فيه مسائل:

المسألة الأولى: حرص أزواج النبي ﷺ على متابعة النبي ﷺ وأنهن لن يتركن هذه السنة حتى بعد وفاته ﷺ.

المسألة الثانية: فيه دليل على مشروعية اعتكاف المرأة في المسجد وهذا مقيد بالضوابط الشرعية أن تؤمن الفتنة وأن يكون على السنن، فاعتكف أزواج النبي ﷺ فدل على أن الاعتكاف لا يختص بالرجال وأنه يكون من النساء كما يكون من الرجال،

(**اعتكف أزواجه من بعده**)، وفيه دليل على أن السنة الاعتكاف المحكمة لأن الصحابة عملوا بذلك بعد وفاته ﷺ.

(المتن)

حدثنا إسماعيل قال: حدثني مالك عن يزيد بن عبد الله بن الهاد عن محمد بن إبراهيم الحارث التيمي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد الخدري ﷺ (أن رسول الله ﷺ كان يعتكف في العشر الأوسط من رمضان فاعتكف عاما حتى إذا كان ليلة أحدي وعشرين).

(الشرح)

(كان يعتكف في العشر الوسط من رمضان)، هذا في أول الأمر ولذلك كان اعتكافه ﷺ طلبًا ليلة القدر، وكان يظن أنها في أول الشهر ثم ظن أنها في أوسط الشهر،

ولذلك قال بعض الصحابة: إن ليلة القدر في العشر الأولى. أبو رزين العقيليﷺ يرى أنها أول ليلة من رمضان **وفيه حديث ضعيف** وهو أحد الأقوال في ليلة القدر،

واعتكف العشر والوسطي لأنه كان يظن أنها فيها ولذلك ذهب بعض الصحابة بعض التابعين إلى أن ليلة القدر هل ليلة النصف من رمضان.

وقال بعضهم: هي ليلة السابع عشر من رمضان لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾[الأنفال:٤١][٨]، فقالوا: إن هذه ليلة القدر. **وهذا ضعيف**، لأن النزول هنا خاص، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي

﴿لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[القدر:١] أعم من هذا النزول، ففرق بين نزول السبب وبين نزول القرآن على الصفة المعتبرة ليلة القدر، وقوله: قال بعضهم: إنها ليلة السابع عشر من رمضان.

وقال بعضهم: إنها ليلة العشرين. هذه خمسة أقوال على أنها أول الشهر أما العشر الأولى أو العشر الوسطي، ولعلهم حفظوا ما كان من أول هدي النبي ﷺ وفي كونه عليه الصلاة والسلام يعتكف العشر الوسطي

ثم يقال له: إن الذي تطلبه أمامك ويقول: «أريت ليلتكم هذه»، فتلاحا رجلان ثم رفعت وعسي أن يكون خير، **فيه دليل على** أنه ﷺ لا يعلم الغيب، وأنه تحت رحمة الله ﷻ، فالله هو الذي علمه كما قال سبحانه: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾[النساء:١١٣]^، فلا يعلم صلوات الله وسلامه عليه ما يكون ولا يعلم الأمور المقدرة ولم يطلع على اللوح المحفوظ ولم يكن له علم بالمغيبات إلا ما علمه الله ﷻ، ودل الدليل على أنه مطلع عليه،

وأما غلو البعض في النبي ﷺ وأنه أحاط باللوح المحفوظ، وأنه أحاط بما كان وما يكون، **فكل هذا من الباطل**

فإنه ﷺ لا يملك لنفسه نفعًا وضرًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا،

وقال الله في كتابة مخاطبٌ له أن يخاطب الأمة: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾[الكهف:١١٠]^،

فهو تحت رحمة الله ﷻ وتحت لطفه وتحت تدبيره وتحت قدره صلوات الله وسلامه عليه وهو أفضل خير الله وخيرة الله من خلقة كما في حديث أم سلمة رضي الله عنها «ألم تعلمِ أني خيرة الله من خلقه»،

ففضله الله وشرفه لكن هذا التفضيل لا يستلزم أن يصرف ما لله له،

وأهل الإسلام وسط مابين الجفاء جفاء اليهود وما بين الغلو من النصارى،

وهو صراط الذين أنعم الله عليهم، فلا يجوز إطراء النبي ﷺ والغلو فيه أنه يعلم الغيب أنه يصرف الكون أنه يقضي الحاجات، وأنه يفرج القربات من دون الله ﷻ، حاش ما جاء كتاب الله ﷻ ولا نزل الوحي على رسول الله ﷺ إلا ليكون عبدًا مأمورًا، فهو عبد الله وهو رسوله صلوات الله وسلامه عليه.

(المتن)

فاعتكف عامًا حتى إذا كان ليلة إحدي وعشرين وهي الليلة التي يخرج من صبيحتها من اعتكافه.

(الشرح)

فإذا كانت تامة ليلة إحدي وعشرين وهي بداية العشر الأواخر.

(المتن)

وهي الليلة التي يخرج من صبيحتها من اعتكافه قال: «من كان اعتكف معي فليعتكف العشر الأواخر وقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها».

(الشرح)

دل على أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يعتكفون معه تبعًا،

وفي هذا دليل على أنه كان يعتكف التماسًا لليلة القدر،

ومن هنا كونه عليه الصلاة والسلام يعتكف التماسًا لليلة القدر هذا الاعتكاف المخصوص، فالذي يريد السنة في طلب ليلة القدر نقول له: اعتكف العشر الأواخر،

لكن لو قال: أنا أتيت إلى مكة والوقت عندي واسع وأريد أن أعتكف رمضان كله. هل يجوز لي؟

نقول في الفتوى: نعم يجوز لأن الاعتكاف جائز في سائر السنة،

لكن إذا كنت تعتقد أن ليلة القدر وتريد أن تعتكف من أجل ليلة القدر خالفت السنة، لأن السنة أن تعتكف العشر الأواخر، والنبي ﷺ قال: تحروها فمن كان متحرها فليتحرها في الوتر من العشر الأواخر

فهذا يدل على أن السنة أن يعتكف إذا أراد ليلة القدر أن يعتكف العشر الأواخر،

أما لو قال: إني عبد أريد العبادة وأريد الخير وعندي شهر إجازة أريد أن أقضيه في مكة ووافق شهر رمضان وأريد أن أعتكف رمضان كاملًا من أجل الزيادة من الخير، وترويض نفسي على الطاعة والبر.؟

نقول: لا بأس ولا حرج من ذلك،

وهكذا لو قال: أريد أن اعتكف في مسجدي حيي.

أما لو قصد ليلة القدر **فالسنة** بينت أنه تعتقد ليلة القدر في العشر الأواخر، وأن من اعتقد أنها في غير العشر الأواخر، فإنه خالف هذا الهدي الثابت عن النبي ﷺ.

(المتن)

وقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها.

(الشرح)

وقال في الحديث الآخر: **«ثم رفعت وعسى أن يكو خيرًا»**، وهذا يدل على أن الرفع في الحديث الآخر المراد به أن الله أنساه ليلة القدر، أنسي ليلة القدر صلوات الله وسلامه عليه،

وبناء على ذلك لا يفسر الرفع أن ليلة القدر ارتفعت بالكلية، كما يقول بعض السلف وهو قول مخالف لجماهير أئمة العلم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، قال بعضهم: إن قوله ورفعت: «أريت ليلتكم هذه فتلاحا رجلان»، وهما أبو حدرد الأسلمي وأبي بن كعب اختصما في دين فأصلح النبي ﷺ بينهما وكانت خصومتها بجوار قبة النبي ﷺ في الاعتكاف

«فتلاحا رجلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا»، قال بعضهم: رفعت فيه دليل على أن ليلة القدر رفعت، وأنه لم يعد هناك ليلة **وهذا قول ضعيف** جماهير السلف والأئمة على أنها باقية، **وأن المراد** برفعت أنه أنسيها ﷺ والسنة يفسر بعضها بعضًا كما أن الكتاب يفسر بعضه بعضًا.

(المتن)

«وقد رأيتني أسجد في ماء وطين من صبيحتها».

(الشرح)

«وقد رأيتني أسجد في ماء وطين» قال بعض العلماء: هذا أصل شرعي، في أن ليلة القدر لها علامات وأمارات، ومما يدل على ذلك قول أم المؤمنين عائشة كما في الصحيح: (**يا رسول الله أرأيت لو أن أريتها؟**) فدل على أن لها علامة وأمارة تميز بها، قال بعض العلماء: أن هذه العلامات والأمارات يجدها الإنسان تدله على ليلة القدر،

ذكر من علامتها الانشراح التام في الصدر، فيجد في ليلة القدر ما لا يجده في بقية ليالي العشر، **والسبب في ذلك** أن الملائكة تتنزل وإذا تنزلت الملائكة نزلت السكينة، ولذلك لا يجد الخوف ولا القلق ولا الشويش وإنما يكون فيه نوع من الارتياح والاطمئنان والسكن بنزول الملائكة، وإذا نزلت الملائكة فرت الشياطين، والشياطين سبب القلق والسوء والشر بالعباد،

وقال بعض العلماء من دلائلها ويروى مرفوعًا: أنه لا يرمى ليلتها بشهاب، والسبب في ذلك أن الشياطين يسترقوا السمع فيركب بعضهم بعضا كما في الصحيح عنه ﷺ ويسترقون السمع، فيرمون بالشهاب كما دلت على ذلك نصوص من الكتاب والسنة، فإذا تنزلت الملائكة لن يستطع الشياطين أن

يفعلوا ذلك، فلا يرمي ليلتها بشهاب لأنها تمتلئ بالملائكة، ولذلك قال سبحانه: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾[القدر:٤]^٨، فهذا من علامتها وأماراتها

وقالوا: إن السماء تكون بلجة صافية. ونحو ذلك مما ذكروا من العلامات والأمارات،

وأيًا ما كان ظاهر هذا الحديث أريتها، وظاهر قول أم المؤمنين عائشة يا رسول الله: (**أرأيت لو أني أريتها!**)، يدل على عدم اختصاصه بالنبي ﷺ وانه يكون لسائر الأمة،

لكن ينبغي التنبيه على أمر وهي مسألة الجزم، فالشخص إذا رأى علامة صاح في الناس وجزم بأن هذه الليلة ليلة القدر،

وننبه على أنه لا يجوز للمسلم أن يعتقد أن هذه الليلة هي ليلة القدر بعينها جزمًا، وما ورد عن الصحابة والتابعين والحلف على غلبة الظن أنها ليلة ليس المراد به القطع والجزم، لأن الحلف يجوز على غلبة الظن،

ومعنى اختلاف العلماء في تعيين ليلة القدر إنما هو بيان لآكد الليالي ولذلك تجد في كتب الفقهاء رحمهم الله، حينما يريدون تعيين ليلة القدر ماذا يقولون؟

وآكد هذه الأقوال وأرجحها أنها ليلة سبعة وعشرين،

لكن لا يقولون ذلك جزمًا وقطعًا لأن الأمر محتمل والنصوص محتملة،

فثبت في السنة ما يدل على أنها ليلة إحدى وعشرين،

وثبت في السنة ما يدل على أنها ثلاثًا وعشرين،

وثبت في ليلة سبعًا وعشرين،

وورد أنها ليلة خمس وعشرين،

وورد في العموم أنها في الوتر من رمضان،

وورد أنها في الوتر الباقي،

فالشاهد أن ليلة ثماني وعشرين، وستًا وعشرين، وأربعًا وعشرين، واثنين وعشرين فما بقيت ليلة في العشر الأواخر إلا وهي محتملة،

والذي يظهر والعلم عند الله خاصة في هذا الزمان المتأخر أن الكف عن تعيين ليلة القدر وحمل الناس على الاعتناء بالعشر الأواخر أنه الأفضل،

ولا نقول: إنه واجب ولكن لما رأيناه من تساهل الناس، نجد البعض يخطب في الناس ويعلم في الناس أنها ليل سبعة وعشرين، فأصبحوا العوام لا يأتون المساجد في الليالي الأخر ويهجرون المساجد، ويعتنون بليلة سبع وعشرين وحدها،

ومنهم من يخطب في الناس ويؤكد أنها ليلة إحدى وعشرين فتجد العامة عنده يأتون ليلة إحدى وعشرين **وهذا مخالف للسنة،** فإن النبيﷺ مع كونه يقول: «تحروها»، فإنه اعتكف العشر كامل، **ومن هنا ينبغي الحرص على هذه السنة،** وهي أن الناس تحرص على العشر وترجوا رحمة الله بما ترجح من

الدلائل والأمارات وإلا قد ينشـــرح صـدر الإنسـان رحمـة مـن الله، قـد يـأتي الإنسان في ليلة ثلاثة وعشرين، فيغفر الله له ذنبه فيصبح بلا ذنـب لأن الله قـد يعفر الذنب فضلًا منه وكرم، فإذا غفرت ذنوبه وانشرح صدره لا يأتي ويقـول للناس: والله هذه الليلة ليلة القدر، أنها ليلة ثلاثة وعشرين، لأننا لسنا ملـزمين بانشراح صدر هذا وهذا،

وقد يأتي الشيطان ويلبس للإنسان ويكون عابدًا فيبتعد عنه ولا يوسـوس له في ليلة من الليالي ومن أجل أن يصيح بالناس ويقول: والله هذه الليلـة ليلـة القدر. بل أعجب من هذا أن بعضهم جاء وقـال: إن ليلـة الثلاثـة الثلاثـاء إذا وافقا وترًا في ليلة القدر، ومنهم من يعين بالليلي حتى إن بعضهم ذكر أنها ليلـة الجمعة، لكن لا يعرف من السلف الصالح لا من الصحابة لا من التـابعين، أن ليلة الثلاثاء هي ليلة القدر، **كل هذا سببه** الغلو في تعيين ليلة القدر،

ينبغي الحرص على السنة وتعليم الناس السنة، أن الله أكرمهم بعام كامـل، واختار لهم هذا الشهر شهر رمضـان، ثـم خفـف للعبـادة والتقـوى والتـزود، والتماس الخير ثم خفف الله عنهم وجعل العشر الأواخر من رمضان وهذا مـن تيسير الله فلا ينبغي التوسع والغلو ونقول: ينبغي النصيحة لعامة المسلمين لأن هذا من الدين وحملهم على الاجتهاد في العشر الأواخر ما أمكن.

(المتن)

«فالتمسوها في العشر الأواخر والتمسوها في كل وتر».

(الشرح)

هذا هو الوارد عنه ﷺ، **«التمسوها»** خطاب للأمة والالتماس الطلب، **«في العشر الأواخر»** أي من رمضان، والتمسوها في الوتر فخفف الله أكثر وجعلها في الوتر

والوتر فيه قولان:

قيل الوتر العددي من بداية الشهر وبناء على ذلك يشمل ليلة إحدى وعشرين، وثلاثًا وعشرين، وخمسًا وعشرين، وسبعًا وعشرين، وتسعًا وعشرين،

وقيل: الوتر فيما بقي من الشهر، فإذا بقيت ليلة فمعناها ليلة الثلاثين، وإذا بقيت ثلاث ليالي ثماني وعشرين ثم ست وعشرون، ثم أربع وعشرون، ثم ليلة اثنين وعشرون، ثاني ليلة اثنين وعشرين،

فهذا قولان لأن النبي ﷺ قال: «في سابعة تبقي وخامسة تبقي»، فهذا يدل على العدد الشفعي، وبناء على ذلك أصبح الوتر شامل للشفع وشامل للوتر العددي من بداية الشهر، **وإن كان الصحيح والأقوى** أن الوتر المراد به الوتر من أول الشهر لأنه هو الظاهر، والأصل حمل النص على ظاهره.

(المتن)

فمطرت السماء تلك الليلة.

وكان المسجد على عريش فوكف المسجد.

(الشرح)

(**فمطرت السماء تلك الليلة**) وهي ليلة إحدى وعشرين.

(**وكان المسجد على عريش فوكف المسجد**) **وكان المسجد** على عريش مسجد النبي ﷺ أل في المسجد للعهد الذهني، وهو مسجد النبي ﷺ على عريش

وهذا مسجد النبي ﷺ لم يكن مزوقًا ولا منمقًا وإنما كان مسجد النبي ﷺ على المعتاد ولا غلو فيه ولا مبالغة، **وقد أجمع العلماء** رحمهم الله على تحريم تزويق المساجد، والمبالغة فيها وإحداث الصور والنقوش ونحو ذلك، لأنه هذا يشغل المصلي وهو خلاف هدي النبي ﷺ،

وكان مسجد النبي ﷺ منقسمًا إلى قسمين، قسم منه معروش ومسقف بالعريش وهو أوله، وآخره غير مسقف،

وكف المسجد أي أنه مع كثرة المطر وكف المسجد انصب الماء من سطح المسجد على أرضية المسجد.

(المتن)

فبصرت عيناي رسول الله ﷺ على جبهته أثر الماء والطين، من صبح إحدى وعشرين.

(الشرح)

هذا دليل لمن قال: إن ليلة القدر هي ليلة إحدى وعشرين.

والمشكلة أن هذه العلامة جاءت في هذا الحديث الصحيح أنها ليلة إحدى وعشرين، وأنه عليه الصلاة والسلام سجد على الماء والطين صبيحة الثلاثة وعشرين، ومن هنا أصبحت هذه العلامة محتملة للوجهين، ولذلك من أئمة السلف كالإمام الشافعي رحمه الله وهو من أئمة القرون المفضلة كان يقول: ليلة إحدى وعشرين وهي آكد في مذهبي أو ثلاثًا وعشرين، وذلك مكان التردد في هذه العلامة ما بين الليلتين: ليلة إحدى وعشرين أو ليلة ثلاثة وعشرين.

(المتن)

باب الحائض ترجل المعتكف.

حدثنا محمد بن مثني قال: حدثنا يحي عن هشام قال: أخبرني أبي عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي ﷺ يصغي إلى رأسه وهو مجاور في المسجد فأرجله وأنا حائض).

(الشرح)

باب الحائض ترجل المعتكف. رحم الله الإمام البخاري وأئمة الإسلام رحمة واسعة، وجزاهم عن الكتاب والسنة والشريعة والملة خير ما جزى عالمًا عن علمه، الإمام البخاري يقولون: **فقه البخاري في تراجمه.** كان كغيره من العلماء متأدبا مع النص والسنة، وكان ينتزع الحكم من الحديث لما يوافقه، منطوق ما بي لفظه أو بمعناه

والحائض ترجل المعتكف، (الترجيل) تسريح الشعر

وقيل: أنه التسريح بدهن، إذا وضع الدهن فيه يقال: رجل شعر رأسه. وإذا كان بدون دهن يقال: مشط شعر رأسه.

وفي قولها: ترجل. فيه دليل على مشروعية ترجيل الرأس،

وقد ثبت في الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنه من سنة النبي ﷺ وأنه كان إذا رجل شعره وكان شعره ﷺ طويلًا ويضرب إلى منكبه صلوات الله وسلامه عليه، وكان يرجل جانبه الأيمن ثم يرجل جانبه

الأيسر كما في الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: **(كان رسول الله ﷺ يعجبه التيمن في تنعله، وترجله، وطهوره، وفي شأنه كله)** **فهذا هو سنة النبي** ﷺ انه من كان عنده شعر أو كان شعره كثيفًا أنه يكرم الشعر بترجيله وتسريحه ولا يجعله ثائرًا منتفشًا، ولذلك في حديث السنن لما جاء الرجل إلى النبي ﷺ وقد أهمل شعره أعرض عنه عليه الصلاة والسلام ثم مضى وأحسنه فأقبل على النبي ﷺ فأقبل عليه، **فهذا هو من السنة** عن النبي ﷺ لإكرام الشعر وهو الإكرام **الذي لا غلو فيه ولذلك** نهى أن يدهن الرجل كل يوم، كما ورد في السنة عليه الصلاة والسلام، فالإسلام وسط ما بين الإفراط والتفريط، لا يهمل الشعر ولا يبالغ فيه،

المبالغة أن يبالغ في تسريحة وشراء الأشياء التي تسرحه وترجله الباهظة الثمن، والمبالغة في ذلك والاعتناء والتكلف، هذا خلاف السنة

وهكذا إذا ربي الشعر للفساد، وأصبح يعتذر بالسنة هذا كله لا معنى له إنما المعنى أن يكون متأسيًا بالنبي ﷺ في إكرام الشعر، يرجل شعر رأسه ﷺ ويكرمه،

(يصغي) أصغى أذا أمان، ولأنه إذا أراد الإنسان أن يستمع للشيء يقال: أصغى إليه، ومنه حديث أبا قتادة في الصحيح أنه لما أتت الهرة أصغى لها الإناء أي أماله،

(يصغى إلي رأس) أي أنه يميل إليها رأسه، فيخرج رأسه ﷺ لأن حجرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كان بابها على المسجد، وهي الحجرة التي فيها قبره ﷺ، فكان بابها على المسجد فيصغي إليها يعطيها رأسه ﷺ،

وفيه دليل على مشروعية خدمة المرأة لزوجها، وليس هذا خاصًا بالنبي ﷺ وإنما هو السنن والمعروف،

ولذلك خدمت الصحابيات الصحابة رضوان الله عليهم، كما في حديث أسماء وحديث فاطمة رضي الله عنها لما طحنت حتى مجلت يداها في حديث لما جاءت تسأل خادمًا من رسول الله ﷺ، كل هذا يدل على أنه من المعروف خدمة المرأة لزوجها وهذا بالمعروف،

وفيه دليل على عنايتها بشأن النبي ﷺ،

وفيه دليل على أن المعتكف يباح له، هناك في الاعتكاف ما يسمى بالمحرمات، وما يسمى بالمكروهات، وما يسمى بالمستحبات والمباحات:

فما يسمى بالمستحبات مثل الاشتغال بذكر الله ﷻ وكثرة تلاوة القرآن، وعمارة الوقت بالصلاة والطاعة والقربة،

والمباح أن يرجل شعر رأسه وأن ينظف نفسه فلا حرج عليه هذا مباح، لأن النبي ﷺ فعل هذا صلوات الله وسلامه عليه، ولأنه إذا اعتنى بتنظيف نفسه لم يؤذِ إخوانه المصلين وقد أمر النبي ﷺ يوم الجمعة كما في الصحيح بالاغتسال، لأن الناس يجتمعون فإذا اجتمعوا تضرر بعضهم من رائحة بعض، فدل على أن المساجد ينبغي أن يحرص الإنسان عند شهودها على ألا يصدر منه ما يؤذي إخوانه المصلين كما في الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام أنه أكد هذا بقوله: «من ثومًا أو بصلًا فلا يقربن مصلانا هذا».

(المتن)

قالت: (فأرجله وأنا حائض).

(الشرح)

فيه دليل على طهارة الحائض، وأنها ليست بنجسة كما كان يعتقده اليهود، كانوا إذا حاضت المرأة فإنهما لا يؤاكلوها ولا يجالسوها ولا يلمسوها **فبين الله** ﷻ المحرم هو وطء الحائض، وأنزل الله قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾[البقرة:٢٢٢]،

فقوله: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ المحيض اسم مكان الحيض، كالمقيل اسم لمكان القيلولة، فدل على أن المحرم هو وطء الحائض،

وأما مماستها ومداخلاتها ومعاشرتها فلا بأس بذلك ولا حرج،

ولذلك كان ﷺ يعطى الإناء لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فتشرب منه فيضع فمه حيث وضعت ﷺ تأكيد لجواز ذلك وأن الحائض ليست بنجس.

في دليل في هذا الحديث على أن خروج الجزء ليس كخروج الكل، لأنه أخرج رأسه، والرأس جزء من البدن فدل على أنه إذا خرج جزء المعتكف أنه لا حكم ببطلان اعتكافه كخروج الكل،

وفيه دليل على أن العبرة بأكثر جسد المعتكف، فإذا كان أكثره دخل المسجد فإنه لا يضره خروج البعض، فو أخرج يديه ليتناول شيء من خارج

المسجد لم نحكم ببطلان اعتكافه، ولـو أخـرج رأس ويديـه لم نحكـم بـبطلان اعتكافه ما لم يكن أغلب البدن وأكثر البدن بظاهر هذا الحديث،

وفيه دليل إذا قلنا: إن الجزء لا يأخذ حكم الكل.

فرّع عليه بعض العلماء، أنه لو قال والله لا أدخل هذه الدار فأدخل يـده أو أدخل رجله فإنه لا يحنث

ولو قال لامرأته: إذا دخلت هذه الـدار فأنـت طـالق. فأدخلـت يـدها أو رجلها، لم تطلق

وأما لو قال إذا دخلت الدار أنت طالق وقصـده أن يمنـع أجزائهـا كلهـا فأدخلت أي جزء طلقت في قول جمهور العلماء رحمهم الله سواء قصد المنع أو لم يقصده، لأنه مرتب على اللفظ بالشرطية.

(المتن)

باب لا يدخل البيت إلا لحاجة.

حدثنا قتيبة قال: حدثنا ليث عن ابن شهاب عن عروة وعمرة بنت عبد الرحمن **أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: (وإن كان رسول الله ﷺ ليدخل علي رأسه وهو في المسجد فأرجله، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة، إذا كان معتكفًا).**

(الشرح)

ترجم الإمام البخاري رحمه الله بهذه الترجمة التي تدل على أنه لا يجوز للمعتكف أن يخرج من معتكفه إلا لحاجة، وقد تقدم معنا أن الحاجة مثل البول والغائط وهي حاجة الإنسان، أو الحاجة الضرورية كالأكل إذا احتاج أن يأكل ويشرب لأنه لا يستطيع أن يعيش بدون أكل وشراب،

وبناء على **ذلك أجمع العلماء** رحمهم الله على أنه لا يجوز للمعتكف أن يخرج من دون حاجة وأنه إذا خرج من دون حاجة بطل اعتكافه، وتقرير هذه الحاجة وضوابطها محله المطولات، **لكن من حيث الأصل** أن تكون الحاجة متعلقة بالجسد مثل ما ذكرنا في البول والغائط وقال بعض العلماء: إذا مرض. ويمكن مداواته داخل المسجد جاز له أن يخرج إلى خارج المسجد ولا يبطل اعتكافه، إذا ترخص بقدر الحاجة كما يجوز له أن يخرج لقضاء البول والغائط.

(المتن)

باب غسل المعتكف.

حدثنا محمد بن يوسف قال: حدثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن الأسود، **عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي ﷺ يباشرني وأنا حائض وكان يخرج رأسه من المسجد وهو معتكف فأغسله وأنا حائض).**

(الشرح)

(كان رسول الله ﷺ يباشرني وأنا حائض)، المباشرة هنا أنه كان ﷺ يستمتع بعائشة بما دون الفرج، ويشهد لذلك ما في الصحيح عنه عليه الصلاة عنها رضي الله عنها، أنه كان يأمرها فتتزر قالت رضي الله عنها: **(كان يأمر إحدانا فتتزر فيباشرها وهي حائض)، وهذا يدل** على أنه يجوز للرجل أن يستمتع من امرأته الحائض إلا الفرج فيجوز له أن يقبلها، وان يلمسها، وأن يستمتع بسائر الجسد شريطة ألا يصيب الفرج،

فهذا كله مبني على قوله تعالى: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾[البقرة:٢٢٢]^٨، والمراد بالمحيض مكان الحيض،

والحيض دم يرخيه رحم المرأة لغير فساد ولا ولادة،

ومنهم من يقول: دم يخرج من قعر الـرحم، دم يرخيـه أي يخرجـه، رحـم المرأة. خرج الدم الذي يخرج من غير الرحم، كالـدم الـذي يخـرج مـن الأنـف فيسمى رعاف، ونحوه من النزيف وخروج الدم من سائر البدن فهذا لا يسمى حيض، فيشترط أن يخرج من الموضع المخصوص وهو الفرج،

وخروجه من قعر رحم المرأة فخرج الاستحاضة

فقولـه: مـن قعـر رحـم المـرأة. في التعريـف الثـاني أرادوا بـه إخـراج دم الاستحاضة لأنه يخرج من أعلى الرحم،

ودم الاستحاضة يخرج من العرق قيل اسمه: العازر. وقيل: العاند وقيـل العاذل، العاذر لأنه يوجب عذر المرأة والعازل لأنه يجب عزلها ولومها، والعاند لأنه لم ينقطع ربما يستمر حتى استمر مع بعض النساء في زمـن النبـي ﷺ خمـس سنين، وهذا العرق في أعلى الرحم لقوله ﷺ للمستحاضة: «إنـما ذلـك عـرق»، فدم الحيض يخرج من قعر الرحم لغير فساد. الذي هو دم الاستحاضة وهو دم المرض، ولا نفاس ولا ولادة. فخرج دم الولادة لأنه يخرج بسبب الولد،

وأما دم الحيض فإنه يخرج بغير سبب الولد لما ذكرناه.

(المتن)

باب الاعتكاف ليلًا.

حدثنا مسدد قال: حدثنا يحي بن سعيد عن عبيد الله قال: أخبرني نافع عن ابن عمر رضي الله عنها أن عمر سأل رسول الله ﷺ قال: (كنت نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام) قال ﷺ: «فأوف بنذرك».

(الشرح)

ترجم الإمام البخاري بهذه الترجمة التي تتعلق بالاعتكاف بالليل، وقوله **الاعتكاف بالليل**. يدل على أنه لا يشترط في صحة الاعتكاف الصوم، لأنه إذا صح في الليل فمعناه أنه يكون بدون صوم، وهذا هو أصح قولي العلماء رحمهم الله، وحديث عمر ﵁ أنه نذر أن يعتكف ليلة، وهذا فيه دليل على مسائل:

المسائل الأولى: مشروعية النذر، وقد دل عليها دليل الكتاب والسنة والإجماع، أن النذر مشروع ويجب الوفاء به إذا كان نذر طاعة، ولا يجوز الوفاء به إذا كان نذر معصية، وقوله ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه».

المسألة الثانية: فيه دليل على مشروعية نذر الاعتكاف، ولذلك قال العلماء: الاعتكاف سنة ويجب بالنذر. الباء السببية، أي يجب بسبب النذر، فيجب الاعتكاف على الإنسان إذا أوجبه على نفسه بالنذر،

وفيه أيضًا في قوله: أن اعتكف ليلة. أني نذرت في الجاهلية من الجهل، والجاهلية الفترة التي قبل بعثة النبي ﷺ، وما بين بعثة عيسى عليه السلام والنبي ﷺ فترة والفترة من الفتور والضعف، وفترة الرسل يكاد انقطاع الرسالة، وهذا المدة يسمى أهلها بأهل الفترة، ويسمون بأهل الجاهلية، وكانت هناك بقايا من دين الخليل عليه السلام ولذلك كان النبي ﷺ يتعبد الليالي ويتحنث الليالي ذوات العدد كما في حديث أم المؤمنين عائشة في الصحيح عنها رضي الله عنها، فالنبي ﷺ لم يكن يتعبد بعبادة الجاهلية وإنما كان يتعبد ببقايا الحنيفية وهي التي غيرها عمر بن لحي الذي رآه النبي ﷺ يجر قُصُبه في النار لأنه غير معالم التوحيد والحنيفية من بقايا إبراهيم إلى الشرك والوثنية، فكانت هناك بقايا وكان عمرو بن نفيل يتعبد بالبقايا، وزيد بن عمر بن نفيل، وزيد بن عمرو بن العاص ونحوهم ممن كانوا يتعبدون ببقايا الحنيفية، فلما نذر، النذر من الأمور المشروعة، ولذلك أمر بالوفاء به

وفيه دليل على أن من كان على غير الإسلام وقد نذر نذرًا ثم بقي واستصحب النظر إلى إسلامه أنه يجب عليه الوفاء،

وأخذ العلماء من هذا دليل على وجوب الوفاء بنذر الجاهلية،

وفيه دليل على أصل المسألة أن النذر يصح بدون الصوم كما ذكرنا، ومن هنا ترجم الإمام المصنف رحمه الله بهذه الترجمة لدلالة هذا الحديث،

وفيه دليل على مشروعية الاعتكاف في المسجد الحرام، وهذا مجمع عليه بين العلماء رحمهم الله، وإذا نذر أن يعتكف في المسجد الحرام اختص بنفس المسجد، لأن المراد به نفس المسجد، وحينئذ يلزمه الوفاء بالمسجد نفسه، وأما كون المسجد يشمله في الفضل غير المسجد فهذا أمر خارج عن مسألتنا، وبعض العلماء يقول: يصح في مكة كلها لأن الله تعالى سمى مكة كلها المسجد الحرام فقال سبحانه: ﴿وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[البقرة:١٩١]^، و أل هنا للعهد فهنا يقوى قول من قال: أنه يختص بنفس المسجد،

وفيه دليل على مشروعية الاعتكاف في سائر السنة ووجه ذلك أن النبي ﷺ لم يسأله، هل هي من رمضان أو غير رمضان؟ هل هي من العشر الأواخر فلو كان الاعتكاف مخصوص بالعشر الأواخر، لخص النبي ﷺ الوفاء بالنذر، لو كان لا يجوز الاعتكاف في غير العشر الأواخر لما أجاز له النبي ﷺ أن يعتكف أي ليلة، والدليل على ذلك أنه قال: «من نذر أن يطيع الله فليطع ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»، فلو كان الاعتكاف لا يجوز في غير العشر لاستفصل منه النبي ﷺ وبين له خصوص الاعتكاف بالعشر.

(المتن)

باب اعتكاف النساء.

حدثنا أبو النعمان قال: حدثنا حماد بن زيد قال: حدثنا يحي عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، فكنت أضرب له خباء فيصلي الصبح).

(الشرح)

كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان تقدم معنا معناه، وكنت أضرب له خباءًا، اختبأ إذا توارى، والخباء يحفظ من دونه فيتوارى فيه عن الأنظار، ففيه دليل على مسائل:

المسألة الأولى: مشروعية خدمة المرأة لزوجها.

وثانيًا: أن أفضل ما تكون هذه الخدمة إذا كانت على طاعة الله وقد أعانته هنا على طاعة الله.

وفيه دليل على أنه الزوج إذا كان مشغولًا بمصالح الناس، أو بالمصالح العامة أنه يعان على ذلك بالمعروف، فأم المؤمنين أعانت رسول الله ﷺ، فإذا كان الزوج داعيًا أو عالمًا أو معلمًا للقرآن، أو خطيب بالمسجد أو نحو ذلك أو ممن يساعد الفقراء والضعفاء، فيشتغل بمصالح المسلمين ويحتاج إلى من يعينه

فخدمته شرف، خاصة إذا قصد من يخدمه وجه الله، ولم يقصد بصحبته الرياء أو السمعة وإنما قصد التقرب لله ﷻ بهذه الخدمة،

فإذا أمنت الفتنة في الخادم والمخدوم، المخدوم ألا يغتر وألا يفعل ذلك احتقارًا وازدراءً لأبناء المسلمين ونحو ذلك من القاصد غير المشروعة، فهذا يشرع في حقه **إذا كان محافظًا وبالضوابط الشرعية**، يشرع خدمته كما خدم الصحابة رضوان الله عليهم رسول الله ﷺ، وخدم التابعون أئمة الصحابة رضي الله عنهم، فالخدمة مشروعة،

وفيه دليل على مشروعية الخباء في المسجد لكن هذا إذا توسع فيه فإنه يلحق الضرر وربما صارت فتنة، وكنا نذكر في مسجد النبي ﷺ كان المعتكفون في أواخر الحرم القديم السعودي الأبيض في أواخره، لقلة الناس كان الناس إذا ازدحموا في يوم الجمعة، يبلغون إلى آخر الحرم الأحمر العثماني والباقي كله فاضي، ما كان الناس بهذه الكثرة فكانوا يضعون الأخبية في أواخر المسجد وكنا نراهم وكانت هي تعين أكثر، فإذا كان النبي ﷺ وهو أكمل الأمة خشوعًا وأكملهم حضورًا ومع ذلك يأخذ بالأسباب التي تعين على الخشوع، من بناء القبة التركية كما ورد في الحديث السنن، وكبناء الخباء كما في حديث عائشة هنا في الصحيح يدل على أنه يشرع وضع الخباء في المسجد، لكن إذا وجدت مصلحة بكف الناس ومنعهم حتى لا يختصموا وتحدث الفتنة، ويحدث الشجار وهذا خاصة في تساهل العوام فتحدث المفاسد التي هي أكثر، ويحصل

الضرر فهذا أمر آخر فيرجع لمن ولي الأمر له الحق أن يمنع النـاس إذا وجـدت الفتنة من الأمور المستحبة والمسنونة لأن خـوف الفتنـة أعظـم، ومراعـاة سـد مفسدة الفتنة أوجب و آكد،

ولذلك الأصل أن المعتكف ينظر إلى مكان يختلي فيه عن الناس، ويختلي فيه للعبادة

وفيه دليل على أن الاعتكـاف يحتـاج مـن صـاحبه إلى أن يسـتجمع نفسـه ويأخذ بجميع الأسباب التي تقطعه عـن النـاس دون غلـو، فـالنبي ﷺ ضرب القبة من أجل أن يتفرغ في صلاته،

وقبل من أم المؤمنين رضي الله عنها صفية أن تزوره وجلـس معهـا، وقـام يقلبها فدل على الوسطية، أنه ينقطع في حال العبادة وأنه يأخذ بالأسـباب التـي تعين على حضور القلب أثناء العبادة،

ومن ذلك أن يعتكف في موضع بعيد عن أن يراه الناس، لأنـه أخلـص لله ﷻ وأبعد عن التشويش، لأن مرور الناس ورؤية الناس و رؤية الغير تشـوش، ففي الصحيح عنه ﷺ أنه قال لعائشة: «أميطي عنا قرامك هـذا فإنـه مـا زالـت تعرض علي تصاويره حتى ألهتني عن صلاتي»، فإذا كان هذا وهو نبي الأمة ﷺ فكيف بغيره

فإذا كان الإنسان معتكفًا في مسجد الحي، وبنى له قبة من القماش أو نحـو ذلك، أو وضع قماش ساتر بينه وبين الناس يعتزل فيه للصلاة ونحوه فهذا مـن السنة، وهو هدي النبي ﷺ

وفيه دليل على مشروعية الأخذ بالأسباب التي تعين على حضـور القلـب والخشوع،

قالوا : ومن ذلك أن يصلي في ثوب ليس له أعـلام. أي لـيس لـه نقـوش، وأن يصلي على سجاد أو على موضـع لـيس فيـه نقـوش. لأن النقـوش تشـغله وتلهيه، فهذا استحبوه لأنه يعين على حضور القلب أكثر، ولذلك لما أمـرﷺ أن يؤتى ببردته وأن ترد بجانية أبي الجهم فإنها ألهته في صلاته كما في الصحيح، فإذا كان هذا في نبي الأمة ﷺ وهو أكمل الأمة خشوعًا فكيف بغيره؟!

فالشاهد من هذا أنها ضربت له الخباء من أجل أن يستجمع نفسه ويكون ذلك أبلغ في حضور القلب والاشتغال بالعبادة على أتم والوجوه وأكملها.

(المتن)

(فيصلى الصبح ثم يدخله).

(الشرح)

فيصلى الصبح ثم يدخله صلوات الله وسلامه عليه، الدخول المعتكف العام يكون بليلة إحدى وعشرين، والدخول داخل القبة لأنه ما يتفرغ صلوات الله وسلامه عليه كان هذا عليه الصلاة والسلام كما ورد في الحديث الآخر أنه دخل يوم العشرين من أجل أن يصيب أكمل ما يكون من الاعتكاف،

الأكمل في الاعتكاف أن يدخل يوم العشرين ثم هذا يختلف فإن دخل بعد صلاة الفجر استجمع اليوم كاملًا، وحينئذ يستجمع ليلة الإحدى والعشرين، على أتم وأكمل ما يكون، وبخلاف إذا ما دخل على غروب الشمس أو قبل الغروب بقليل،

وأيًا ما كان فإن المعتكف الواجب عليه إذا نذر العشر الأواخر أو نوى العشر الأواخر أن ندخل قبل مغيب الشمس من يوم العشرين،

ولا يصح أن يدخل بعد الفجر من ليلة الواحد والعشرين لأنه فاتته الليلة،

فليس مرادها أنه دخل عليه الصلاة والسلام المعتكف أنه دخل المسجد وابتدأ اعتكافه من صبيحة إحدى وعشرين هذا ليس المراد، إنما المراد التمام

والكمال في استتمام الأحدى والعشرين، وهـذا يقـوم بإمسـاك جـزء مـن يـوم العشرين،

فإذا أراد أن يزيد بأن يدخل من فجر يوم العشـرين وهـذا لـه معنـى ذكـر بعض العلـماء أن التهيـؤ للعبـادة قبـل دخلوهـا أقـوى وأقـدر للإنسـان عـلى الاستجمام على أكمل الوجوه، فالإنسان لو دخل بعد مغيب الشمس يحتـاج إلى وقت حتى تخشع نفسه لأنه حديث العهد بشواغل الدنيا، لكـن إذا دخـل مـن فجر العشرين، فإن هذا أبلغ في حضور قلبـه فـلا يبـدأ ولا تبـدأ ليلـة الواحـد والعشرين إلا وهو أكثر حضورا للقلب أكثر استجمامًا.

(المتن)

فاستأذنت حفصة عائشة أن تضرب خباءً فأذنت لها فضربت خباءا فلما رأته زينب ابنة جحش رضي الله عنها ضربت خباءً آخر فلما أصبح النبي ﷺ رأى الأخبية فقال: «ما هذا؟» فأخبر فقال النبي ﷺ: «آلبر ترون بهن» فترك الاعتكاف ذلك الشهر ثم اعتكف عشرًا من شوال.

(الشرح)

هذا الذي وقع من أمهات المؤمنين ظاهره التنافس بينهن، وهذا التنافس لوجود الاشتراك في الزوجية ظاهره الغيرة، ولذلك أخذ بالظاهر،

والحاكم والوالي له أن يأخذ بالظواهر ظواهر الناس، لأنه لو كان في الطبيعة والسجية لوقع منهن مباشرة من الجميع، لكن لما ضربت هذه قامت هذه وضربت ثم جاءت الثلاثة ضربت، ثم جاءت الرابعة وضربت هذا يسمى الظاهر، في الشريعة ما يسمى بالظاهر،

وفيها ما يسمى بالأصل، والظاهر ما يظهر من الحال فالإنسان إذا كان من ظاهر حاله يدل على شيء أخذ به ولذلك الحكم للظاهر، قال ﷺ كما في الصحيح: «أمرت أن أخذ بظواهر الناس، وأن أَكِل سرائرهم إلى الله»،

فالظاهر أنه إذا وقع لفعل من أشخاص مشتركين في صفة وغلب على الظن أنه على سبيل التنافس حُمل على الظاهر إن كان دينيًا فديني وإن دنيويًا

فدنيوي، فإذا تنافس طلبة العلم وهم مشتركون في طلب العلم، وكان التنافس مأذونًا به شرع فتسابقوا إلى مجلس العلم، وكان المراد أن يسبقوا إلى ضبط العلم وإلى اتقانه، وتسابقوا إلى سؤال العالم والاستفادة منه هذا مشروع لأن الله يقول: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾[المطففين:٢٦][٨]، ولو خرج المصلون فتسابقوا إلى المسجد دون أن يسرعوا الإسراع المحظور وتسابقوا إلى الصفوف الأول، فهذا مشروع وليس من باب الغيرة،

لكن حينما يأتي على صورة يفهم منها أنه من باب الغيرة، وأنه وقع لمكان غيرهم وأنه قد يكون للشيطان فيه دخل يؤخذ بهذا الظاهر، لأن أمهات المؤمنين كانت تقع بينهن الغيرة شأنهن شأن الأزواج، فهن بشر ولذلك يعتريهن ما يعتري البشر،

وفيه دليل على تعظيم الشرع لحق الله ﷻ وهو توحيده وإخلاص العبادة له سبحانه وتعالى، والحرص على حمل الناس في العبادات على الإخلاص، وترك الرياء، وترك السمعة، والتسابق من أجل الغيرة ونحو ذلك فهذا أمره عظيم خاصة في العبادات، ومن هنا امتنع النبي ﷺ من الاعتكاف زجرًا لهن، وتعظيمًا لحق الله ﷻ فليس هناك حق أعظم من حق الله جل جلاله، وليس هناك حق ينبغي أن يرعى وأن يصان وأن يحفظ من العالم ومن طالب العلم ومن العامة مثل حق الله ﷻ، فالشيء الذي يؤثر في النيات،

ولذلك شدد أهل العلم وعرف باستقراء نصوص الكتاب والسنة أن العلماء وطلبة والعلم ونحوهم ممن ينصح والخطباء وأئمة المساجد عليهم أن يعتنوا دائما بتذكير الناس بالإخلاص، وترك الرياء وترك السمعة، والتنافس من أجل الأغراض الدنيوية والمصالح الشخصية، فهذا من أوجب ما ينبغي العناية به لأن حق الله ﷻ وهذا يؤثر في العبادات يوجب فسادها و عدم قبولها، فلو أن العبد بات ليلة قائمًا وأصبح نهاره صائمًا، منافسًا لأخيه لا لغرض شرعي ولا لقصد القربة لله ﷻ حبط عمله وكان من الخاسرين، وهكذا في طلب العلم إذا قصد أن يسبق فلان وأن يسابق فلان ولذلك كرهت المسابقات في طلب العلم أدركنا من مشائخنا من يشدد فيها لأنها تفسد النيات وتؤثر في النيات، وإذا كانت هناك مصلحة فالمفسدة فيها أعظم، فإذا أفضت إلى إيغار الصدور كراهية طالبة العلم بعضهم لبعض، وكراهية الحُفَّاظ بعضهم لبعض، فلا بارك الله في شيء ينتهي بالناس إلى مثل هذا لأنها إذا كانت على هذا الوجه، تحمل وعرف بالاستقراء أنها تجعل الإنسان يجلس طيلة العام كله لا يقرأ شيء من القرآن شيئا يراجعه و لا ينظر في الصحف شيئًا يراجعه إلا إذا جاءت مسابقة القرآن فوجدته يحفظ ويراجع ويضبط وتجده لا يعتني بتحسين صوته ولا تنميقه ولكن إذا نافس فلان وعلان نمق صوته وحضر صوته ويل لهؤلاء، ثم ويل لهؤلاء، ثم ويل لهؤلاء من رب الأرض والسماء ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ* وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ [العاديات:٩-١٠]^ لم تنزل آيات الله ولم يوح شرع

الله من أجل أن يتنافس على سبيل الغيرة، وعلى سبيل الدنيا وإنما من أجل طاعة الله ومحبة الله ومرضات الله ﷻ، قال ﷺ: «سيروا هذا جمدان سبق المفردون»، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيرا والذاكرات»، ما قال: الذي سبق جمله أو سبق بعيره، لما رآهم يتنافسون جمدان جبل بحذاء خليص وهو على طريق مكة فلما يأتوا في الجبال ويأتوا في المواضع العالية يمزح الصحابة بعضهم مع بعض فتتسابق إبلهم، وتتسابق الرواحل والركائب، فلما نظر لهم يسابقون من أجل الدنيا في المباحات ذكرهم بالسبق الأعظم وهو سبق الطاعات والسبق بها عند الله ﷻ، فكيف إذا كان سبقًا للآخرة يساغ للدنيا؟ فمثل هؤلاء عليهم أن يتقوا الله ﷻ، التنافس في الدين لا ينبغي أن يكون بطريقة يقصد بها غير وجه الله ﷻ،

وبناءً على ذلك فإنه حرص ﷺ على ترك الاعتكاف فترك الطاعة وترك القربة، وهذا ما قرره العلماء بالقاعدة الشرعية المعروفة "درء المفاسد مقدم على جلب المصالح"، وهذا أصل عند العلماء وفيه فائدة على أن الحرام مقدم على السنة، فلما كان إيغار الصدور وحصول الغيرة، مقدم على السنة وهي الاعتكاف، فإذا كان الاعتكاف يوجب الفساد للمعتكف أو كان هناك من عنده طلبة، وأراد أن يعتكف ووجد منهم الدخن وغلب على ظنهم أنهم قد وقعوا في المحظور أخذ بالحزم واحتاط لهم في شرع الله ﷻ، وليس الأمر خاصًا بالاعتكاف، قد يترك العالم صحبة طلاب العلم لأنه يعلم أنهم إذا صحبوه نافس بعضهم بعضًا خاصةً عند فساد الزمن وقلة التربية، فإن البعض قد تبقي فيه بقايا من غير الاستقامة فتجده إذا طلب العلم

تبقى فيه دخن من الجاهلية والجهل فيؤذي إخوانه من طلبة العلم، فقد يترك العالم صحبة الناس لأنه يرى مثل هذه المفاسد في صحبة العالم سنة ومورثة للشرع ومعينة على الشرع فمتنع منها دفعًا لما هو أعظم من المفاسد، وقد يمتنع من صحبة طلبة العلم منه في كثرة الفساد لأنه لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، ولا يستطيع إذا رأى المنكرات أن يغيرها فيخشى أن طلبة العلم، إذا صبحوه ألفوا ذلك هذا كله من تقديم المفسدة على المصلحة ونحو ذلك مما يراد به طاعة الله، فالمقصود الأعظم الذي ينبغي العناية به هو حق الله ﷻ أن العبادة لله، وأنه إذا عبد العبد ربه عليه أن يوحده، فإفراد الله بالعبادة مقصود، ولا يكون ذلك إلا إذا ظهرت الدلائل والأمارات على أنه يريد وجه الله ﷻ، فإذا تنافس الناس أو تنافس النساء أو تنافس الرجال في الخير، على وجه محمود شرعًا فلا بأس بذلك ولا حرج فقال:[آلبر أردتن؟!»، هذا استفهام إنكاري أنم ما تريدون البر لأنه لو كن يردن البر لأعانهن عليه ﷺ على البر لكنه شك في قصدهن للبر،

ومن هنا إما أن يكون أنه بنى على غالب الظن من ظاهر الحال، أو استوي الأمر أنهم يردن الآخرة أو أن ذلك غيرة منهن، فإذا حصل الاستواء أو غلب على الظن القصد الفاسد شرع المنع،

وفيه دليل على مشروعية التعذير في الأمور الشرعية بالمنع على وجه لا يضيع حق الله، فمن حق العالم أن يؤدب طلبة العلم كما أن النبي ﷺ أدب نساءه بالطاعة والقربة، وهذا كله من النصيحة لعامة المسلمين.

(المتن)

باب الأخبية في المسجد

حدثنا عبد الله بن يوسف قال: أخبرنا مالك عن يحي بن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ أراد أن يعتكف فلما انصرف إلى المكان الذي أراد أن يعتكف إذا أخبية خباء عائشة، وخباء حفصة، وخباء زينب، فقال: «آلبر تقولون بهن»

ثم انصرف فلم يعتكف حتى اعتكف عشرًا من شوال.

(الشرح)

الأخبية في المسجد بعد أن بين أن السنة ثابتة عن النبي ﷺ بالخباء في المسجد، **قد يفهم منه** أن هذا خاص بالنبي ﷺ لكونه وليًا للأمر وخاصًا بأزواجه لأنهن تبع لهن، فلسن كبقية النساء وكسائر النساء،

وترجم بهذه الترجمة على أنها الحكم عام وأنها سنة عامة لأنها متعلقة بالعبادة نفسها،

وقوله: **في المسجد**. هذا ظرف، ظرف الخباء المسجد أي في داخل المسجد، وذكر رحمه الله هذا الحديث: «آلبر تقولون»، يقال: قال بكذا. أي فعله

ومنه الحديث الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام قال بيده هكذا. أي أشار،

والعرب تسمى الفعل قولًا منه قول الشاعر:

امتلأ الحوض فقال قطني *** مهلًا رويدًا قد ملئت بطني

فقال: قطني. الحوض لا يتكلم، ولكن بفعله حينما رمى الماء عند امتلائه كأنه يقول: حسبك وأوقف الماء عني قد امتلأت،

فالمقصود أن المراد بهذا أن القول بمعنى الفعل،

وفيه دليل على مشروعية الخباء في داخل المسجد وأنه ليس خاصًا، بالنبي ﷺ وأزواجه.

(المتن)

باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد.

حدثنا أبو اليمان قال: أخبرنا شعيب عن الزهري، قال: أخبرني علي بن الحسين رحمه الله أن **صفية زوج النبي ﷺ أخبرته أنها جاءت رسول الله تزوره في اعتكافه في المسجد.**

(الشرح)

(هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد.) المراد هنا الخروج من الخباء وليس الخروج من المسجد،

وبين رحم الله برحمته الواسعة، **والله إن في صحيح البخاري في أبوابه علمًا عجيبًا،**

تراجم البخاري فيها علم عجيب، من تتبع السنة والدقة فيها والحرص، حديث واحد قد يشمل عشرين باب ينوعه رحمه الله من سعة علمه،

وهذا مما امتاز به صحيح البخاري على صحيح مسلم في تكرار ذكر الحديث، ولذلك تري حديث واحدًا ترجم له بأكثر من ترجمة،

وحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في ترجيل الحائض هذا فيه أكثر من ترجمة في الاعتكاف وغير الاعتكاف، وهذا من فقهه رحمه الله برحمته واسعة،

خروجه إلى المسجد أي إلى باب المسجد، وذلك أن صفية لما جاءته عليه الصلاة والسلام وحدثته رضي الله عنها وجلست معه قام يقلبها عليه الصلاة والسلام يشيعها،

وفيه دليل على مشروعية تشييع الضيف،

وفيه دليل على كرم خلق النبي ﷺ عمومًا، وكرم خلقه ﷺ خصوصًا مع أزواجه، لأنه لم يكن يتصرف معهن بالتعالي، أن المرأة ما ينظر إليها نظرة احتقار وازدراء هي جاءت إليه،

انظر من كرمه كان ﷺ لا يكرم بشيء إلا رده بأكثر منه، فخرج ﷺ معها من قبته إلى باب المسجد، وكان بالإمكان أن يتركها تذهب.

وفيه أيضًا معنى لطيف وهو حرص الزوج على أن يكون قريبًا من زوجته خاصة في حال خروجها من بيتها، مع أنه في دخل المسجد كان معها ﷺ

خلاف من يقول من أهل النفوس الضعيفة لماذا تشك في الناس ولماذا تسيء الظن في زوجتك؟ اتركها تذهب وحدها، انظر إلى رسول الله ﷺ داخل المسجد وفي زمان الصحابة وأمن الفتن، فهذا القلب له عدة معاني:

منها أن الزوج يكون قريبًا من زوجه وهذا أبلغ في كمال رجولة الإنسان، وكمال غيرته، وكمال حفظه لعرضه، ورعايته لأهله، لأن هذا شأن أهل الكمالات وكان للنبي ﷺ قصب السبق في ذلك ولا عبرة بأهواء الناس ولا بما يغيره الناس ولا بما يحدثون وتأمل السنة وطبقها ولو قل العاملون ونفر

النـافرون واسـتهزئ المسـتهزئون: ﴿ وَسَـيَعْلَمُ الَّـذِينَ ظَلَمُـوا أَيَّ مُنقَلَـبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[الشعراء:٢٢٧]^٨، عليك بالسنة أن تـذهب مـع امرأتـك وتشـيعها فالمرأة تحس بمعنى عظيم حينما تخرج ويخرج معها زوجها إلى خارج المسجد، أو إلى مصالحها في خارج المسجد، فهذا كله له معنى لأنه متعلق بالزوجية وبرعاية حق الزوجة، فقام يقلبها إلى باب المسجد، لأن هـذا التشـييع إلى بـاب المسـجد فدل على أنه انقطع ﷺ عن اعتكافه

وخرج مع أهله وهذا يدل على مسـألة وهـي يبـاح للمعتكـف أن يـتكلم ويباح له أن يتحدث لكن بالمباحات، وأنه لا حرج عليه في ذلك

وفيه دليل على أنه إذا كان المعتكف يجلـس مـع أهلـه فيحـدثهن بـالأمور المباحة فمن باب أولى أن يجوز له أن يجلس في حلـق العلـم وأن يسـمع العلـم، وهذا مذهب جمهور العلماء رحمهم الله خلافًا للإمام مالك الـذي كـره اشـتغاله بطلب العلم،

وأيًا ما كان الإمام مالك لا يضيق تضيق كاملًا وإنما هو بقـدر، لكـن مـن حيث السنة فالسنة دالة على أن هذا لا يؤثر في الاعتكـاف، لأنـه إذا خـرج مـع زوجه لهذا الأمر المباح، فمن باب أولى إذا كان لطلب العلم و نحـو ذلـك فـلا حرج عليه ولا بأس.

(المتن)

فتحدثت عنده ساعة قامت تنقلب فقام النبي ﷺ

(الشرح)

ـــ (**بعد سماع صوت عالي لإمراة**) إلى الله المشتكى، المشرفين في داخل الحرم يؤذون حتى المعتكفين بهذا التشويش، انظر إلى أصوات النساء وهن مشرفات، مصيبة هذه تنهى عن شيء وتقع في أشنع منه، ما أدري هؤلاء ينبغي أن يردعوا ويمنعوا هذا ما يجوز هذا، النساء ينصحن بهذا الشكل، حتى ولو كان أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر ما ينبغي هذا.ـــ

(فتحدثت عنده ساعة قامت تنقلب فقام النبي ﷺ) تتحدث عنده أي عند النبي ﷺ ساعة أي مدة من الزمان، وليس الساعة التي هي جزء من أربع وعشرين جزء من النهار،

فيه دليل كما ذكرنا على مشروعية حديث الرجل بالأمور المباحة وهو معتكف،

وفيه دليل على مشروعية زيارة المرأة لزوجها داخل الاعتكاف، لأن أم المؤمنين زارت النبي ﷺ في داخل معتكفه، فدل على أن المعتكف لا يمنع من زيارة أهله

وهكذا لو زار الأخ أخاه في اعتكافه، **ولكن شريطة** ألا تصبح الزيارة تخرج إلى ما لا تحمد عقباه،

البعض ما شاء الله تبارك الله يجلس معتكفًا في صورة المكتف قل أن تجد خبرًا في المسجد إلا ويأتيك به، ويعرف أين يجلس فلان وعلان، وتريد فلان في المكان الفلاني والشارية الفلانية فيها فلان وعلان، هذا كله من الاشتغال بالفضول، ولو أنه اشتغل بما يعنيه واشتغل بالآخرة بمعنى لا يفهم من هذه الأحاديث ما يوجب التوسع،

البعض يأتي بالجوال ويتحدث بالجوال أقول له: يا أخي أنت تشوش على المصلين. قال: كان النبي ﷺ كان يجلس مع زوجه وكان يحدث زوجته. **هذه مصيبة** إذا كان الإنسان يأخذ النصوص ويفسرها على غير الوارد،

نعم كان ﷺ يحدث زوجته و تجلس معه وتحدثه ساعة دون أن يؤذي بقية المصلين والمعتكفين **وهذا أصل** ينبغي العناية به أنه لا يجوز التشويش على المعتكفين، ولا يجوز التشويش على من بداخل المسجد، بل كان بعضهم مشايخنا رحمهم الله حتى يضيق في حلقة العلم وخفض صوته حتى لا يشوش على غيره ويقول: إن المسجد ليس لي أنا. كل هذا خوفًا من الإثم وحقوق التبعة، فالذي يأتي مثلا ويأخذ جواله ويخاطب أصحابه بإمكانه أن يبتعد عن مكان المعتكفين إلى مكان آخر هذا لا شك أنه خالف ولا يصح أن يستدل بمثل هذه السنة، فالكلام في المباحات على وجه لا يؤذي به إخوانه المعتكفين، وإنما بطريقة يكون بها التوسع على وجه لا مفسدة فيه.

(المتن)

فقام النبي ﷺ معها يقلبها .

(الشرح)

فقام النبي ﷺ معها، الضمير عائد إلى صفية رضي الله عنها

يقلبها إلى باب المسجد لأنه يودعها

فيه دليل على مشروعية توديع الضيف لأنها كالضيف عنده ﷺ،

وهذا من السنة وكانوا يعدونه من مكارم الأخلاق، أن الضيف إذا جاءك في بيتك أنك تخرج معه إلى باب الدار أو تخرج معه إلى الدابة،

ومن غرائب ما ذكروا عن العرب أن رجلًا قصد رجلًا معروفًا بالكرم فلما قدم عليه قام غلمانه وصبيانه إلى الضيف فأنزلوه وأكرموه وقاموا بحوائجه على أتم الوجوه فلما جاء ينصرف ما قام معه إلا الذي يحمل متاعه، ولم يعتنوا به تلك العناية، وودعه الرجل وشيعه حتى بلغ دابته،

فقال له الضيف: إني رأيت أمرًا عجبًا وأني سألك وأنشدك الله إلا صدقتني.

قال: وما ذلك؟

قال: إني أقبلت عليك فأكرمني خدمك وحشمك، ولما أردت أن أخرج لم أجد ما وجدته وأنا مقبلًا عليك.

قال: لأنا نستقبل الضيف ولا نودعه.

قال: لمَ؟ رحمك الله

قال: لأنه إذا فعلوا ذلك كأنهم فرحون بمغادرتك. يعنى كأنهم يريدونك أن تفارق، هم لا يريدون أن يشعروك بذلك يريدونك أن تجلس إلى أقصى حـد ولو كان بيدهم أنت الذي تحمل متاعك لتركوك تحمله معه،

فهذا كله يدل من الكرم أنهم أرادوا أن يظهروا لـه أنهـم يحبـون جلوسـه، فالضيف يكرم، وفي حديث رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليـوم الآخـر فليكرم ضيفه»،

وأدركنا أهل العلم والفضل مع علو درجتهم وقدرهم يخرج الرجل منهم مع الضيف ويكرمه وبعضهم يبلغ إلى سيارته ولا ينظر إلى مكانه هذا من أبلـغ ما يكون في الكرم، وللناس في ذلك عوائد وزوائد نسأل الله أن يبلغنـا في ذلـك ما يرضيه.

(المتن)

حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة مر رجلان من الأنصار فسلما على رسول الله ﷺ فقال لهما النبي ﷺ: «على رسلكما إنها صفية» فقالا: سبحان الله يا رسول الله وكبر عليهما.

(الشرح)

مر رجلان من الأنصار هذا من الإبهام الذي لا يضر، لأن معرفة الرجلين وعدم معرفتها لا يؤثر، لا يترتب على ذلك حكم شرعي، وليس له تأثير في أحكام الحديث.

(**فسلما على رسول الله ﷺ.**) فيه دليل على مشروعية السلام على الرجل مع أهله، وأنه لا بأس ولا حرج إذا كان الرجل معه أهله أو نساؤه أنه يسلم عليهن، وأن هذا ليس فيه محظور، بخلاف ما يعتقده البعض أنه إذا رأى مع الرجل أهله وكذا ابتعد عنه ولا يسلم عليه، فقد سلم على النبي ﷺ مع كونه في صحبة أهله.

(**«على رسلكما إنما هي صفية بنت حي»**.) ترسل إذا تمهل، ولذلك إذا أذن المؤذن يترسل في آذانه بمعنى أنه لا يستعجل في ألفاظ الأذان على رسلك يعنى على مهلك،

(**قال**: «**على رسلكما**») من النبي ﷺ أي أنه ﷺ أراد أن يبين لهما أي لا تعجلا لأنهما لما رأيا معه المرأة أسرعا، **فلما أسرعا الخطا قال** ﷺ: «**على رسلكما إنها صفية**»، فهذا منه ﷺ دفعًا لدابر الشيطان وقطعا لدابر الشيطان في ما يقذفه في النفوس، لأن الشيطان يجرى من ابن آدم مجري الدم كما في الصحيح وكما في بعض روايات الحديث قال: «خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا»، وهذا يدل على أنه على مسائل:

منها: أن الإنسان إذا خشي من أخيه المسلم أن يظن به ظن السوء بين وكشف له حقيقة الأمر، وأنه ينبغي للإنسان في حال الريبة أن يعتني بالأكمل والأفضل، لأنه يصون أخاه من الوقوع في المحظور، وقد قال ﷺ: «أنصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» قال: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلومًا فكيف أنصره إذا كان ظالمًا؟ قال: «تمنعه عن الظلم»، فأنت حينما تفسر للشخص حقيقة الأمر المحتمل للريبة فأنت تمنعه من سوء الريبة، فأنت تمنعه من الإثم فهذا من نصرتك لأخيك لأنك تنصره على الشيطان، وكما يقع النصر على شياطين الجن يقع على شياطين الإنس أيضًا، وكما يقع على شياطين الإنس كذلك يقع على شياطين الجن، فهذا من العناية من النبي ﷺ بذلك.

قالا: **سبحان الله**. تعجب وأرادا بذلك أين يبينا يا رسول الله ليس في قلبنا شيء عليك ولا نسيء الظن بك، صلوات الله وسلامه عليه، لكنه ﷺ يفعل الفعل ويشرع للأمة، وهذا يدل على أنه إذا وقع في حقه ﷺ فمن باب أولى غيره.

(المتن)

فقال النبي ﷺ:«إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم وإني خشيت أن يلقي في قلوبكما شيئا».

(الشرح)

بين النبي ﷺ السبب والعلة في كونه ﷺ يبين لهما وأخبرهما أنها صفية،

- (**تكرر رفع صوت لمرأة في المسجد**) المشكلة الآن أكثر من درس ونحن نعاني من هذه المرأة، أصلحها الله، هذه المرأة ابتليت بهذا الصوت الجهوري، والله أنا أراه منكر عظيم في مسجد النبي ﷺ، واعذروني يا إخوان ما أستطيع، أصلًا رفع الصوت بهذا ما يجوز، هذه مصيبة أكثر من مجلس ونحن نعانى من ذلك،

والآن في رمضان مثل ما تشاهدون، كيف المعتكفون لو كانوا هنا؟ هذه مصيبة والله، فأرجو من المسئولين أن يعتنون بهذا الشيء هذه امرأة هذه! مصيبة، هذا أمر بالمعروف ونهي عن المنكر! وهذا أنا أكثر من امرأة جاءتني تشتكي حتى في حال زيارتهن وكذا، تشويش لا يجوز هذا نحن نقول للناس، ولا نقول: نعرف من المسلمين أنهم لا يقصرون نحسبهم ولا نزكيهم على الله، لكن كما وقع هذا أمام الناس ينبغي أن ننكره أمام الناس لأن هذا لا يجوز أمام الناس أن يفعل هذا الفعل، هذا ليس تعليم للناس ولا توجيه وليس بهذا

الطريق، لو فعله رجل لكان منكرًا مـن الصـياح واللغـط يقـول: ﴿ لا تَرْفَعُـوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾[الحجرات:٢][٨]،

عمر رضي الله عنه أراد أن يؤدب رجلين مـن الطـائف حـين رفـع أصـواتهما دخـل المسجد، قال:(**لو أعلم أنكما من المدينـة لأوجعـتكما ضربًـا**)، هـذا في الرجـال كيف بامرأة؟

هذا ليس أمر بالمعروف ولا نهي عن المنكر! هذا بذاته منكر،

المرأة تنصح وتوجه بالتي هي أحسن، وخافضة لصوتها امرأة يعنى حرمة ما بهذه الطريقة، لأن أكثر من كذا درس قرابة من عشـرة دروس إمـا أن تلقـي محاضرة، واشتكى أكثر من امرأة جاءتني والله تشتكي، وبعض القرابـة بلغهـم الكثير من القرابة تخبرهم أن هذه المـرأة خاصـة هـذا ابـتلاء حسـبنا الله ونعـم والوكيل.

(المتن)

قال النبي ﷺ: «إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا».

(الشرح)

هذا من علم الغيب، أن أمور الشيطان أمور خفية لا يعلمها النبي ﷺ إلا إذا أطلعه الله عليها، فأطلعه الله ﷻ على ذلك وأن الشيطان يقذف في قلب الإنسان، وفيه دليل على أنه ينبغي إذا حصل الأمر المحتمل أن يفسر لمن يري ويسمع.

(المتن)

باب الاعتكاف وخرج النبي ﷺ صبيحة عشرين.

حدثني عبد الله بن منير قال: سمع هارون بن إسماعيل قال: حدثنا علي بن المبارك قال: حدثنا يحي بن أبي كثير قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت أبا سعيد الخضري ﷺ قلت: هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر ليلة القدر؟ قال: نعم اعتكفنا مع رسول الله ﷺ العشر الأوسط من رمضان، فخرجنا صبيحة عشرين، قال: فخطبنا رسول الله ﷺ صبيحة عشرين، فقال: «إني أريت ليلة القدر وإني نسيتها فلتمسوها في العشر الأواخر في وتر فإني رأيت أني أسجد في ماء وطين»، ومن كان اعتكف مع

رسول الله ﷺ فليرجع فرجع الناس إلى المسجد، وما نرى في السماء قزعة، وقال: فجاءت سحابة فمطرت وأقيمت الصلاة فسجد رسول الله ﷺ في الطين والماء حتى رأيت الطين في أرنبته وجبهته.

(الشرح)

هذا الباب قصد المصنف رحمه الله أن يبين فيه نهاية الاعتكاف، وأن الاعتكاف ينتهي بآخر يوم من أيامه،

فلو نذر أن يعتكف العشر الأواخر لا يجوز له أن يخرج إلا بعد مغيب الشمس من يوم الثلاثين كما ذكرنا، **والدليل على ذلك** أن النبي ﷺ بقي في العشر الوسطي إلى نهاية اليوم العشرين، فدل هذا على أنه إذا نوى الاعتكاف عشرًا، أنه يستتمها بمغيب الشمس، وأن العبرة بالنهار وليس بالليل في النهاية،

فكونه ﷺ يبقى في العشر الوسطى إلى يوم العشرين يدل على أنه ينبغي إتمام المدة نهارًا، وأنه لا ينتهي الاعتكاف بطلوع الشمس، فلو قال: لله على أن أعتكف العشر الأواخر.

صحيح أنه يقصد الليالي العشر، لكن المراد بالعشر الأواخر النهار تبعٌ لليل لكن لو أنه نوى في نذره العشر الليالي وحدها، يعنى أن يعتكف في الليل دون النهار، فإنه يلزمه أن يعتكف في الليل دون النهار، فيدخل قبل مغيب

شمس كل ليلة وقبل مغيب شمس اليوم ويصيب الليل كاملًا ويخرج بعد طلوع الشمس هذا إذا نوى الليل وحده،

وأما إذا نوى العشر تامة كاملة فإنه لا يخرج إلا بعد الثلاثين والحديث تقدمت مسائله وتقدم شرحه،

بناء على ذلك لو قال: لله علي أن أعتكف يومًا كاملًا في مسجد النبي ﷺ. قلنا: يبدأ بالليل قبل غروب الشمس فيدخل المسجد ثم يبقى إلى مغيب الشمس من اليوم الذي بعده لأن اليوم كاملًا، ولكن لو قال: لله علي أن أعتكف ليلة.

مثل ما ذكرنا في حديث عمر فإنه يعتكف الليلة بمغيب الشمس، وتنتهي بطلوع الشمس، هذا أراد به الإمام البخاري من فقهه أن يبين مسائل الاعتكاف الزمنية، لأن العبرة في الزمان إذا كان يوما كاملا بالليل والنهار، وأن النهار يستتمه إذا كان اعتكافه ليلًا ونهارًا فيعتد بمغيب الشمس.

(المتن)

باب اعتكاف المستحاضة.

حدثنا قتيبة قال: حدثنا يزيد بن زريع عن خالد عن عكرمة عن **عائشة** رضي الله عنها قالت: (اعتكفت مع رسول الله ﷺ امرأة من أزواجه مستحاضة، فكانت ترى الحمرة والصفرة فربما وضعن الطست تحتها وهي تصلى).

(الشرح)

الاستحاضة هي استحال من الحيض، الأصل في المرأة أنه إذا جاءها الحيض يأتيها مدة معينة، والغالب في النساء ست أو سبعة أيام، لقوله ﷺ في حديث السنن الذي صححه غير واحد وأشار البخاري إلى ثبوته رحمه الله: «تحيضي في على الله ستًا أو سبعًا»، أي ستة أيام أو سبعة أيام، وهذا فيه تفصيل معروف عند العلماء رحمهم الله، ولذلك أمرها أن تصلي ثلاثًا وعشرين أو أربعًا وعشرين يوما، فهي حائض في الستة الأيام والسبعة الأيام مستحاضة فيما بقي في الشهر، وأن للمرأة في كل شهر عادة، الشهر يأتيها الحيض مرة واحدة، هذا على الغالب

وبناء على ذلك فإنها إذا استحيضت يعنى استمر معها الدم بعد الحيض، فهذه المستحاضة الحيض حدث أكبر، والاستحاضة حدث أصغر،

الحيض يوجب الغسل، والاستحاضة لا توجب غسلًا، وهل يستحب؟ وجهان عند العلماء رحمه الله، من حيث الحيض إذا انقطع وانتهى أمده ابتدأت الاستحاضة: إما حقيقة أو تقديرًا، فيبقي الدم يجري مع المرأة فهذا الدم الزائد يسمى استحاضة

فلو أن المرأة استحيضت يعنى خرج معها الدم وزاد عن أمد الحيض وقالت: أريد أن أعتكف، أو كانت معتكفة فحاضت وخرجت إلى رحبة المسجد وقلنا لها: اجلسي في رحبة المسجد، فبقيت في رحبة المسجد وعادتها سبعة أيام، فإذا بالحيض يزيد عن سبعة أيام ويستمر معها شهر رمضان كله، فنقول لها: سبعة أيام حيض والباقي استحاضة. وإذا كنت مستحاضة فإذا انتهت السبعة أيام تغتسلي ثم تدخلي المسجد، وإذا أجزنا للمستحاضة أن تدخل المسجد **ترجم المصنف رحمه الله بهذه الترجمة** أن الاستحاضة لا تمنع دخول المسجد والاعتكاف فيه،

فدل على أنه إنما يمنع من الحيض، الحيض يمنع من دخول المسجد، ولا يمنع صحة الاعتكاف كما هو مذهب الجمهور فتعتكف في الرحبة،

وبناء على ذلك إذا دخلت المسحاضة تأخذ بالأسباب فتضع الطست تحتها أو تضع حافظة، كما في زمان الحفاضات التي تمنع نزول الدم على المسجد وتلويث المسجد، فتأخذ بالأسباب التي فيها صيانة ووقاية،

أما الاستحاضة هذا هو مقصود المصنف أن الاستحاضة لا تمنع صحة الاعتكاف ولا تمنع من الدخول في المسجد، شأنها شأن العبادات من الصلاة ونحوها.

(المتن)

باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه.

حدثنا سعيد بن عفير قال: حدثني الليث قال: حدثني عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن علي بن الحسين ﷺ أن صفية زوج النبي ﷺ أخبرته قال: وحدثنا عبد الله بن محمد قال: حدثنا هشام قال: أخبرنا معمر عن الزهري عن علي بن الحسين قال: **كان النبي ﷺ في المسجد وعنده أزواجه فرحن فقال لصفية بنت حي لا تعجلي حتى أنصرف معك وكان بيتها في دار أسامة فخرج النبي ﷺ معها فلقيه رجلان من الأنصار فنظرا إلى النبي ﷺ ثم أجازاه فقال لهم النبي ﷺ: «تعاليا إنها صفية، بنت حي»، قالا: سبحان الله يا رسول الله! قال: «إن الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم وإني خشيت إن يلقي في أنفسكما شيئا».**

(الشرح)

صفية بنت حي أم المؤمنين زوج رسول الله ﷺ، بنت حي بن أخطب زعيم اليهود، وتزوجها النبي ﷺ وكان لها فضل وشرف، وأوذيت كثيرًا فصبرت رضي الله عنها وأرضاها، وأوذيت أذًى شديدًا، حتى قيل: أنها تعطف على قرابتها من اليهود، ما سلم أحد حتى الصحابة رضوان الله عليهم، أنها تحسن إلى قرابتها من اليهود، وأنها ... وأنها ...، رضي الله عنها وأرضاها، وإذا أراد

الله أن يرفع قدر العبد سلط عليه الناس: ﴿لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾[الأحزاب:٦٩]^ قال بعض العلماء: حسبت أو ظننت أن من يؤذى من الناس أن الله يرفع قدره، لأنه قال: ﴿كالذين أذوا موسى﴾ ثم أعقبه بقوله: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ قال: لا أظن الوجاهة عند الله إلا تكون بالصبر على أذى الناس. فهذه الصحابية رضي الله عنها وفراش النبي ﷺ، وزوجة النبي ﷺ الطاهرة رضي الله عنها وأرضاها، ومع ذلك تتهم بالتهم يبحث الناس عن أي شيء يلصقوه بالإنسان حتى ولو لم يكن له أصل : تالله لو صحب المرء جبريل *** لابد من قال وقيل

قد قيل في الله أسماء مسماة *** تتلى إذا رتل القرآن ترتيلًا

ما سلم الله من قول العباد أن له صاحبة، أن له ولد، أنه ثالث ثلاثة، قال موسى عليه السلام: «يا رب كف عنى خلقك قال: يا موسى أو ما ترى كيف أطعمهم؟ وأرزقهم؟ وأحييهم؟ ويقولون: إن لي شريكًا»، فهو سبحانه وتعالى صبر على ظلم الناس لأن الشرك ظلم عظيم، فمن باب أولى أن يصبر المؤمنين، فكانت رضي الله عنها لها حظوة عند النبي ﷺ فلما أرادت أم المؤمنين أن تقم قال: «انتظري»، فأمرها أن تنتظر حتى يكون معها ويقلبها رضي الله عنها وأرضاها،

وهذا فيه دليل على أنه يجوز للرجل أن يخص بعض نسائه إذا وجد الموجب الشرعي إذا أرادها لأمر أو لغرض، وإلا فالأصل أنه يشيع الجميع.

(المتن)

باب هل يدرأ المعتكف عن نفسه.

حدثنا إسماعيل بن عبد الله قال: أخبرني أخي عن سليمان عن محمد بن أبي عتيق عن ابن شهاب عن علي بن الحسين رضي الله عنهما أن صفية أخبرته.

وقال: حدثنا علي بن عبد الله قال: حدثنا سفيان قال: سمعت الزهري يخبر عن علي بن الحسين **أن صفية رضي الله عنها أتت النبي ﷺ وهو معتكف فلما رجعت مشي معها فأبصرها رجل من الأنصار فلما أبصره دعاه فقال: «تعال هي صفية»، وربما قال سفيان: هذه صفية «فإن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم»، قلت لسفيان: أتته ليلًا؟ قال: وهل هو إلا ليل.**

(الشرح)

هذا طبعًا مثل الذي تقدم لكن في زيادة أنه كان بالليل،

والسبب في هذا أن العبادة تكون في الليل، ومن هنا البعض جعل الزيارة في النهار ولم يجعلها ليلًا لأن الليل أصلًا هو المقصود بالاعتكاف فضيق في الزيارة في الليل، فلما ثبت أنه فعل ذلك ليلًا دل على التوسعة،

وفيه رد على غلاة المتصوفة والمبالغين في التزهد وأنه لا يجوز للمعتكف أن يقابل أحدًا، ولا أن يجلس مع أحد،

ولذلك يحرم على المعتكف أن يبالغ في اعتكافه على الوجه المحظور مثل أن يمتنع من الكلام، لأن النبي ﷺ نهى عن صمات يوم، كما في الحديث الذي صححه غير واحد، فنهى عن صمات يوم أنه يصمت اليوم كاملا،

فبعضهم يقول: إذا دخل المعتكف لا يكلم أحدًا. **وهذه السنة القاضية بخلاف ذلك،**

فليس من المحظور على الإنسان أن يكلم وأن يباسط في الحدود التي لا تضيع أصل العبادة، فهو قلبها ﷺ وتحدث معها بالليل،

فقال: هل كان هذا ليلًا؟

والمراد على أنه وقع بالليل والحاجة للمعتكف في العبادة في الليل أكثر من النهار.

(المتن)

باب من خرج من اعتكافه عند الصبح.

حدثنا عبد الرحمن قال: حدثنا سفيان عن ابن جريج عن سليمان الأحول خال ابن أبي نجيح عن أبي سلمة عن أبي سعيد قال: سفيان وحدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي سعيد قال: وأظن أن ابن أبي لبيد حدثنا عن أبي سلمة عن أبي سعيد ﵁ **قال: اعتكفنا مع رسول الله ﷺ العشر الأوسط فلما كان صبيحة عشرين نقلنا متاعنا فأتانا رسول الله ﷺ قال: «من كان اعتكف فليرجع إلى معتكفه فإني رأيت هذه الليلة، ورأيتني أسجد في ماء وطين»، فلما رجع إلى معتكفه وهاجت السماء فمطرنا، فو الذي بعثه بالحق لقد هاجت السماء من آخر ذلك اليوم وكان المسجد عريشًا فلقد رأيت على أنفه وأرنبته أثر الماء والطين.**

(الشرح)

هذا الحديث تقدمت الإشارة إليه وهو حديث أبي سعيد الخدري ﵁ أن النبي ﷺ اعتكف العشر الوسطي يلتمس ليلة القدر، وقد بينا وجه ذلك ثم أخبر أن ليلة القدر في العشر الأواخر،

وفيه دليل كما قدمنا أن ليلة القدر لها أمارة وعلامة ولـذلك قـال: «أريـت ليلتها أني أسجد صبيحتها على ماء وطين»،

ولذلك ترجم له بعض العلماء باب السجود على الماء والطين، **وهـذا يـدل** على أن الصلاة في الطين صحيحة، إذا لم يمنع من صحة السجود يعنى إذا كـان الإنسان يسجد على الطين، فيمكن أعضائه السبعة الآراب التي أمـر بالسـجود عليها كما في الصحيح من حديث العبـاس ﷺ «أمـرت أن أسـجد عـلى سـبعة آراب وهي الأعضاء السبعة» القدمان أطراف الأصـابع المـراد بهـما والركبتـان واليدان والجبهة والأنف أشار إلى أنفه صلوات الله وسلامه عليه،

فإذا كان يمكن هذه الأعضـاء مـن السـجود فبهـا ونعمـة، أمـا إذا كـان السجود على الطين لا يمكن معه حصول هذا المقصود فإنـه حـين إذٍ لا يصـح سجوده، وبناء عن ذلك حمل ﷺ في الشعب على الدابة لما ضاق عليهم وهي من الأحوال التي يجوز الصلاة على الرحل إذا تعذر النزول إلى الأرض كما في حالة شدة المطر الشديد لو أن مطرًا شديدًا أصاب ركب وهم مسافرون وعلب عـلى ظنهم أنهم لو توقفوا يغرقوا أو يتضرروا بالطين جاز لهم أن يصـلوا وهـم عـلى ركابهم، المقصود من هذا أن النبي ﷺ لم يمنعه الطين من السجود

ولذلك ترجم بعض العلماء على هـذا الحـديث بـاب السـجود عـلى المـاء والطين، والماء طاهر، والطين طاهر، فكونه طينًا وزلقًا لا يزده إلا طهارة.

(المتن)

باب الاعتكاف في شوال.

حدثنا محمد قال: أخبرنا محمد بن فضيل بن غزوان، عن يحيى بن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها قالت: **(كان رسول الله ﷺ يعتكف في كل رمضان وإذا صلى الغداة دخل مكانه الذي اعتكف فيه)**، قال: فاستأذنه عائشة أن تعتكف فأذن لها فضربت فيه قبة، فسمعت بها حفصة فضربت قبة، وسمعت زينب بها فضربت قبة أخرى، فلما انصرف رسول الله ﷺ من الغد أبصر أربع قباب فقال: «ما هذا؟»، فأخبر خبرهن فقال: « ما حملهن على هذا آلبر! انزعوها فلا أراها»، فنزعت فلم يعتكف في رمضان، حتى اعتكف في آخر العشر من شوال.

(الشرح)

هذا فيه دليل على مشروعية الاعتكاف في غير رمضان كما ذكرنا، لأن شوال ليس من رمضان، وليست فيه ليلة القدر، وأنه يجوز للمسلم أن يعتكف في سائر السنة ولا حرج ولا بأس،

وفيه دليل كما يقول بعض العلماء على مشروعية القضاء للطاعة إذا فاتت الإنسان لسبب يعذر فيه لأن السبب هنا شرعي، وأنهن تأثرن به عليه الصلاة والسلام فأراد أن يمنعهن من المحظور وأن يطيب خواطرهن لأنه لو اعتكف

ولم يعتكفن انكسرت خواطرهن من منعنهن مـن الاعتكـاف وكـان ﷺ حلـيمًا رحيمًا رءوفًا بالمؤمنين كما أثنى الله ﷻ عليه في كتابه المبين، صلوات الله وسلامه وبركاته عليه إلى يوم الدين، وجزاه عنها وعن الإسلام والمسلمين خير ما جزى نبينا عن نبوته، وأتاه الوسيلة والفضيلة، وبعثـه المقـام المحمـود الـذي وعـده، فالمقصود أنه ﷺ اعتكف في غير رمضان،

والبر اسم كلمة جامعة لكل ما يحبه الله ويرضاه فهي مـن أجمـع الكلـمات للخير، والبر يهدي إلى الجنة لقوله ﷺ: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهـدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة»،

والعبد البر هو المطيع في ظاهره وباطنه

فيشمل البر أعمال القلوب مثل الخوف من الله والخشية لله، وحسن الظـن بالمسلمين، وحب الخير لهم، ونحو ذلك من أعمال القلوب التي يحبها الله،

ويشمل أعمال الجوارح القلبية كقراءة القرآن والتسبيح والأذكار ونحوها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونفع المسلمين بالقول، ونحو ذلك

ويشمل الأعمال مثل الصلاة ومثل الحج والصـيام، هـذا كلـه مـن الـبر، و«البر أردتن؟» أي طاعة الله ﷻ يطلق البر بمعنى عموم الطاعة، هل أردتن أن تطعن الله؟ وهذا كما ذكرنا أنه إنكار منه ﷺ،

المقصود أن المصنف رحمه الله ترجم بهذا الحديث لأكثر من مسألة وهذا كما ذكرنا من فقهه، لأن الحديث يتضمن أكثر من مسألة، وفيه دليل على مشروعية الاعتكاف في غير رمضان، ومشروعية الاعتكاف في شوال،

وأخذ منه بعض العلماء أن هذا دليلًا على أن الدخول في النوافل يصيرها فرائض، فقالوا: إنه لما أراد أن يعتكف وقصد الاعتكاف ودخل فيه فلما جاء المحظور الشرعي مع أنه نافلة انقلب فرضًا عليه فقضاه وهذا ضعيف لأنه ﷺ لو كان واجبًا عليه لما تركه لهذا السبب، بل إنه اعتكف صلوات الله وسلامه عليه، ولكنه تركه لما ذكرنا خشية المفسدة عليهن، **وهذا فيه دليل** على مشروعية ترك الإنسان المصلحة لنفسه خوفًا على الغير، أن يترك المصلحة التي يطلبها خوفًا على مفسدة تصيب الغير من النصيحة لعامة المسلمين، وهذا يقع في أهل القدوة وأهل الخير،

منها أنه إذا رأى افتتان الناس له وغلوهم فيه في أمر يفعل فتركه من أجل أن يمنعهم من ذلك ويردعهم عن ذلك يشرع له،

ومن هنا كان بعض العلماء والأئمة والسلف يفعلون أفعالًا حتى بعضهم إذا وجد من يغتر بصلاحه فعل بعض الأمور المباحة التي تنفر الغير منه حتى يكسر ما في قلوب الأخرين من العجب به،

وهكذا إذا طلب منه الخير المفسدة امتنع من الخير، جاءت امرأة إلى الإمام أحمد رحمه الله وسألته أن يدعو لها، فقالت: إن ابني به كذا وكذا فأسألك أن

تدعوا له؟ فقال: (**إني عبد من عباد الله إني لا أملـك لـك نفعًـا ولا ضرًا اذهبـي واسألي الله**) ادعي لنفسك، ولم يدع لها فلما خرجـت رفـع كفـه وقـال: (**اللهـم اشف ولدها**) فسأله بعض أصحابه قال:(**إني خشيت عليها الفتنة**) وجه ذلـك أنه إذا شفي ولدها غدًا قالت: شفي بدعوة الإمام أحمد.

وفي بعض الروايات قال لها: (**أنت مضطرة والله يجيب المضطر إذا دعـاه**)، هذه هي النصيحة والبعض تجده يطلب الناس أن تطلب منه حتى إن بعض من حوله يقول: والله فلان مجاب الدعاء، اذهبوا إلى الولي فلان وإلى علان، هذا مـا يجوز هذه فتنة، ما يستطيع أحد أن يزكي أحـدًا ويعتقـد في أحـد لأن هـذا أمـر غيب، ولذلك كان العلماء على النصيحة أنه يجوز أن يترك الخير خاصة في نفسـه خشية المفسدة على الغير وهذا ينبه عليه العلماء لأنه أمر عظيم كما ذكرنا أن فتنـة الناس ووقوع الناس في الغلو ووقـوع النـاس في الأمـر المحظـور أمـر عظـيم، ولذلك اعتنى النبي ﷺ بصيانة أمهات المسلمين من الوقوع في الخلل، وهذا كله من النصيحة، من أراد وجه الله زكي الله سريرته وسيرته، ورزقـه السـلام مـن الفتن فوطء العقب وعجب الناس بالشخص،

تأمل إنسان أعطاه الله العلم إذا كنت طالب علم، إذا كنت حافظًا للقرآن، إذا كنت خطيبًا مفوهًا وأعطاك الله لسانًا بليغًا وخطبًا مؤثرة، وأعطاك الله لسانًا مؤثرًا ومزمار من مزامير آل داوود أليس حريا بك أن تحمد الله وأن تشـكر الله، وأن تقود الناس لله ولا تقودهم لنفسك، فـإذا رأيـتهم قـد عجبـوا بـك فلـماذا

تحرص على كل شيء يثيرهم للعجب بك؟ فهذا من النصيحة أن تمتنع حتى بعض الأخيار من أئمة والسلف وأهل العلم جلس عالم من أئمة السلف وأهل العلم رحمهم الله ممن مضوا يحدث الناس فكثروا عليه حتى غلبوه فامتنع من الخروج للناس، وقال: إني خشيت على نفسي الفتنة، فقالوا: يا هذا اتق الله وانشر العلم. قال: هناك غيري، وهذا في أزمنة السلف حينما كان يوجد الغير، فلما خشي على نفسه الفتنة لم يخرج فهذا كله من الخوف لله ليس هذا الدين للأشخاص، وليس هذا الدين لمصالح أقوام بعينهم إنما هو لله ﴿أَلا للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[الزمر:٣]، فكل شيء يدور حول المفاسد التي تقطع العباد عن رب العباد، فهي الجريمة العظمى، ومن رضي بذلك وأقر الناس على الغلو فيه والتبجيل له فقد خان الأمانة ولم ينصح للأمة، وهكذا العامة وطلبة العلم، إذا غلوا في مشايخهم أو غلو في الناس، أو غلو في خطبائهم وأنزلوهم وأعطوهم أكثر من قدرهم فانصرفت الناس بآيات والوحي من تعظيم الله ﷻ وتعظيم الكتاب، وتعظيم ما فيه من الأمر والنهي إلى تعظيم الأشخاص، والله إن القلوب لتحزن وإذا كان هدهد يغار على حق الله فما بالك يا ولي الله ألا ترى الناس يصلون في رمضان وغير رمضان فيرجع الرجل إلى بيته يقول: والله الليلة فلان بدع وجمل. يرجع ثلاثين ليلة يتكلم عن القراء ولم يرجع يوما واحد إلى أولاده فيقول: والله إن آيات القرآن تهز القلوب، لم يتحدث عن آية واحدة تأمر وتنهر، يتحدث عن فلان الذي طرب وبدع في صوته، ويتحدث

عن الخطيب الذي بدع وطرب في جمعته وأحسن وأبلغ ولا يتكلم عن رب العباد، ولا يتكلم عن الذي أحكم آياته وفصلها الحكيم الخبير، سبحان رب العظيم ما أحلم الله وما أصبر الله على خلقه! سبحان الله العظيم والله ليس هناك حق أضيع من حق الله ﷻ، تجد الإنسان يرجع إلى بيته يتكلم عن فلان وعلان وآيات الله تتلي عليه، لو نزلت على الجبال لانهدت واندكت من خشية الله ﷻ، ما يرجع إلى بيته ويقول لأولاده: يا أولادي إني صليت وراء الإمام وسمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[التوبة:١١٩]^٨، يا أولادي لا تكذبوا، يا أولادي إن الله يأمركم بالصدق فاصدقوا، هل رجع أحد منا يتحدث عن أمر من أوامر الله، أو نهي من نواهي الله؟ لذلك انظروا إلى رسول الأمة ﷺ كيف يغار على حق الله؟ عبادة يستمتع بها كان يقول: «يا بلال أرحنا بالصلاة»، من لذات المعتكف ولذة الاعتكاف من أجمل ما يكون في الاعتكاف وكله جميل، حينما تخلوا في الصلاة، تجد لذة الصلاة تجدها في الاعتكاف أكثر وأبلغ من غيرها، ومع هذا ينقطع عليه الصلاة والسلام عن الاعتكاف وينقطع عن مناجاته لربه لحق ربه، لأنه وجد أنهن لم يردن البر،

وهذا يدل على أنه ينبغي على كل من يقود الناس أن ينتبه للنوايا، وأن ينتبه لحق الله لا خير في الخطيب ولا في العالم ولا في الداعي ولا في طالب العلم، ما لم يكن كلامه وما لم تكن دعوته وما لم يكن قيله وعلمه يذكر بالله، فهذا الدين

لله وليس للأشخاص، ولذلك هلكت الأمة كانت الأمة تقوم على كتاب الله سنة النبي ﷺ أمرًا ونهيًا، ترغيبًا وترهيبا، فلما أصبحت تتحدث في القشور وتخرج عن الجوهر وأصبحت تضيع حق الله لم يبالِ الله بها في أي أودية الدنيا هلكت، فهذا رسول الأمة ﷺ لما رأى أن القلوب تغيرت، وأن مدار القبول على القلوب، وأن حق الله ضاع غار عليه الصلاة والسلام وامتنع من الاعتكاف تعظيمًا لحق الله ﷻ، النية مهمة وهي مطية الإنسان إلى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، ولا تسلم القلوب من دائها وبلائها إلا بالشفاء والدواء وهو الإخلاص، والتوحيد وإفراد الله بالعبادة، وقصد وجه الله، حقيقة لا دعوى، يحققها الإنسان في سلوكه، في أقواله، في أعماله دائمًا خاصة إذا كنت في الشرع تخطب، تعلم، توجه، تحرص على أن الناس كلها تعظم الله، فإذا أردت أن تنال بركة العلم وبركة الدعوة، وبركة الخطبة، وبركة الأبوة، وبركة التوجيه فاجعل حق الله نصب عينيك، إن فعلت أفلحت وأنجحت، نسأل الله أن يعيننا على ذلك وأن يعرفنا بحقوقه وأن يعيننا على القيام بحقه على الوجه الذي يرضيه.

(المتن)

باب من لم ير عليه صوم إذا اعتكف.

حدثنا اسماعيل بن عبد الله عن أخيه عن سليمان عن عبيد الله بن عمر عن نافع، عن عبد الله بن عمر عن عمر بن الخطاب ﷺ وأنه قال: **(يا رسول الله إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام)** فقال له النبي ﷺ: «أوف نذرك» فاعتكف ليلة.

(الشرح)

تقدم معنا ما يتعلق بأحكام هذا الحديث منها أنه لا يشترط الصوم، أولًا: فيه مشروعة النظرة إلى الاعتكاف، وقلنا: يصير الاعتكاف به واجبًا.

ثانيًا: و أنه من نذر أن يعتكف يجب عليه الوفاء بهذا النذر.

وثالثًا: أنه يجوز الاعتكاف بالليل دون النهار كما ذكرنا.

ورابعًا: أنه لا يشترط في صحة الاعتكاف الصوم.

وخامسًا: فيه دليل الوفاء بنذر الجاهلية إذا لم يكن معصية لله ﷻ، أو يشتمل على معصية لله ﷻ وبينا وجه ذلك.

(المتن)

باب إذا نذر في الجاهلية أن يعتكف ثم أسلم.

حدثنا عبيد بن إسماعيل قال: حدثنا أبو أسامة عن عبيد الله عن نـافع عـن ابن عمر أن عمر ﷺ نذر في الجاهلية أن يعكتف في المسجد الحرام، قال: أراه قال: ليلة. قال له رسول الله ﷺ: «أوف بنذرك».

(الشرح)

هذا كما تقدم كله من فقه الإمام البخاري رحمه الله ترجم له أكثر من ترجمة، لأنه يشتمل على أكثر من مسألة وهذا كما قال بعض العلماء: ثوروا القرآن. كـما يؤثر عن ابن مسعود، وقيل: ثوروا العلم. فإنه يثور لأن العلـم إذا بحثـت فيـه وتأملت وجدت العلم الكثير، ولذلك جعل الله في الكتاب والسنة من الفوائـد والعوائد مالا يحصى كثر، حديث المجامع أهلـه في نهـار رمضـان اسـتنبط منـه بعض العلماء ألف فائدة وعائدة، وهو حديث واحد في الذي جامع أهله في نهار رمضان، وأفرد بالتصنيف والتأليف كـما ذكـر بعـض الأئمـة رحمهـم الله، فآيـة الوضوء في كتاب الله هذا في الحديث آية الوضوء ذكر ابن العربي أنهـم وجـدوا فيها قرابة ألف فائدة، قال: فاجتمعوا في مدينة فاس فاستخرجوا منهـا بالجهـد ثمانمائة مسألة، وهذا كله يرجع إلى دقة الفهم، تعجب من كتاب الله وسنة النبي ﷺ و لا ينتهي عجبك ولـذلك قـال تعـالى: ﴿ وَمَـنْ أَصْـدَقُ مِـنَ اللَّهِ حَـدِيثًا ﴾

[النساء:٨٧]^، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾[النساء:١٢٢]^، أن تجد الكتاب الذي أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير فتجد فيه الحكمة، وتجد فيه الخبرة، وتجد فيه العلم، وتجد فيه النور، وتجد فيه الهداية، لقد شغلنا القرآن عن غيره، وشغلتنا متعة القرآن ولذة القرآن خاصة في هذا الشهر الفضيل، طوبى لمن يفتح كتاب الله ﷻ فينسه القرآن كل شيء، هذا القرآن الذي لا تنتهي عجائب ولا تنقضي غرائبه وكان ابن مسعود يضمه إلى صدره ويبكي ويقول: (**كتاب ربي كتاب ربي**) فلا يعرف حق هذا القرآن إلا أهل العلم، بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، فإذا أراد الله بعبده الخير ألهمه أن ينظر في هذه النصوص وفي هذا الوحي من كتاب الله وسنة النبي ﷺ وأن يعظم هذا الوحي، ويقدره حق قدره، قال: يا بني إذا سمعت الله إذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[البقرة:١٠٤]^ فأصغ إليها، وفي حديث مرفوع عن عائشة رضي الله عنها فإنما هو خير تؤمر أو شر تنهي عنه، لما تثور القرآن وتثور السنة تجد العلوم العجيبة والأحكام البديعة من كلام الله جل جلاله الذي تمت كلمته صدقًا وعدلًا، ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩]^، ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١]^، ويقول ﷺ: «ولقد أتيت القرآن ومثله معه»، ولما كانت الأمة تحب القرآن وتنتفع بالقرآن، حتى قال بعض العلماء علمت أن النمل فيه ذكر وأنثى،

وإن كان هذا معلوم بقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[الذاريات:٤٩]^، قال: علمت إن النمل فيه ذكر وأنثى لأن الله يقول: قالت نملة. وهذا يدل ليس قضية المسألة قضية انظر كيف العلماء يذهبون إلى أبسط الأشياء من القرآن؟ تجد حتى في القصص التي يقصها والعبر التي يذكرها أحكام عجيبة، وآيات جليلة جميلة غريبة، هذا القرآن عجيب فمن يثوره؟

والسنة كذلك أحاديث النبي ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم، فإذا تأمل الإنسان فيها ونظر نظر العلماء أو قرأ الكتب أو قرأ التفاسير المعتمدة لسلف هذه الأمة وخلفهم التابعين لهم بإحسان وجد العلم بحق وجد النور ووجد الهداية، فانظر كيف حديث واحد ينقله بأكثر من مسألة، وهو قد يكون الحديث في العبادات وفيه مسائل مفرعة في المعاملات، وقد يكون في المعاملات وفي مسائل مفرعة في العبادات، وكلها من فتوح الله ﷻ على أهل العلم

ولكن ينبغي أن ننبه على أن استنباط هذا العلم وتثوير هذا العلم إنما يكون من العلماء، وأما بالنسبة للجهلاء أو أدعياء العلم الذين يتكلفون ويتشدقون فهذا ليس من العلم في شيء والله يقول: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣]^، فدل على أن الاستنباط لبعض الناس وليس لكل الناس، وهم أهل العلم العالمون بكتاب الله وسنة النبي ﷺ، أسأل الله أن يرزقنا حب الكتاب والسنة وأن يرزقنا الحق فيها والعلم بهما على الوجه الذي يرضيه.

(المتن)

باب الاعتكاف في العشر الأوسط من رمضان.

حدثنا عبد الله ابن أبي شيبة قال: حدثنا أبو بكر عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ قال: **(كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشر أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يومًا).**

(الشرح)

هذا الحديث فيه دليل لما تقدم أنه لو أراد أن يعتكف رمضان كاملًا لم ينكر عليه، ولو أراد أن يعتكف ثلثي رمضان وهي العشرين كما في حديثنا لم ينكر عليه ووجه دخول العشر الوسطي أنه كان يعتكف العشر الأواخر على الأصل، فلما زاد عشر ثانية فهمنا أنها العشر الوسطي، لأنها لو كانت غير الوسطي لأعتني بالتنبيه عليها، لأنها أقرب شيء إلى العشر الأواخر فلما لم ينبه في الحديث، فهمنا من هذا أنه اعتكف صلوات الله وسلامه عليه من العاشر من رمضان إلى نهاية رمضان، وبناء على ذلك دل على أن الاعتكاف يكون طلبًا لليلة القدر ويكون الاعتكاف طلبا لفضيلة الشهر وطلبًا لفضيلة العبادة في الشهر، فالإنسان يحرص على أن يزداد من الخير، وكما ذكرنا شهر رمضان شهر خير وبر وإحسان، والله ﷻ جعل هذه الأمة مرحومة، ولذلك جعل

الاعتكاف، الاعتكاف صعب يحتاج إلى تفرغ من الشغل والشواغل وهذا يحتاج إلى عناء في خاصة الإنسان وعامته،

ومن هنا خفف عن ناس فلم تأت السنة باعتكاف الشهر كاملًا التماسًا لليلة القدر،

ولا باعتكاف أكثر الشهر وإنما الثلث الأخير من الشهر

وأيضًا إذا ضاق عليه الوقت كما ذكرنا الوتر من العشر الأواخر هذا كله من رحمة الله وتيسيره وهذا لا يمنع أن الإنسان يزداد من الخير،

ولما كان عليه الصلاة والسلام في آخر عمره اعتكف عشرين ليلة، وعرض القرآن مرتين، كان يأتيه جبريل فيعرض عليه القرآن مرة مرة، في كل عام في رمضان فلما كان في السنة التي قبض فيها عرض عليه القرآن مرتين صلوات الله وسلامه عليه، إيذانًا برحيله من الدنيا وفراقه بأبي وأمي لها.

(المتن)

باب من أراد أن يعتكف ثم بدا له أن يخرج.

حدثنا محمد بن مقاتل أبو الحسن قال: أخبرنا عبد الله قال: أخبرنا الأوزاعي قال: حدثنا يحيى بن سعيد قال: حدثتني عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان فاستأذنته عائشة فأذن لها، وسألت حفصة عائشة أن تستأذن لها ففعلت، فلما رأت ذلك زينب ابنة جحش أمرت ببناء فبني لها قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا صلى انصرف إلى بنائه فبصر إلى الأبنية فقال: «ما هذا؟» قالوا: بناء عائشة وحفصة وزينب. فقال رسول الله ﷺ: «آلبر أردن بهذا» ما أنا بمعتكف فرجع فلما أفطر اعتكف عشرًا من شوال.

(الشرح)

هذا الحديث فيه مسألة تتعلق بقصد الاعتكاف وفعل الاعتكاف، وأن نية الخير لا تستلزم من الإنسان أن يقوم به إذا لم يكن واجبًا عليه، لأن الاعتكاف ليس بواجب،

وهذا يدل على أن الأصل فيه أنه مأذون به شرعًا على سبيل لا وجوب فيه، وهذا ما جعل العلماء يقولون أن الاعتكاف سنة ومستحب ولا يكون واجبًا إلا بالنذر، أي إذا أوجبة الإنسان على نفسه أم الشرع فلم يوجب علينا الاعتكاف،

وفيه دليل على أن من هم بالخير وأراده ووجد مفسدة أنه يراعي كما تقدم درء المفسدة.

وفيه دليل على أن استئذان حفصة من عائشة الذي ورد في الحديث المتقدم، المراد أن تستأذن لها من رسول الله وليس المراد أن عائشة تأذن لحفصة، لأنه جاء هنا مبينة

وبناء على ذلك يحمل على هذا المبين وأن المراد أن تستأذن عائشة من رسول الله ﷺ فيأذن لها كما أذن لعائشة.

وفيه دليل على أن من كان قدوة للناس كالعالم، فإن النبي ﷺ قدوة للأمة وأزواجه صلوات الله وسلامه عليهم قدوة للأمة، فراعى ﷺ أن يقي أهله من النار، لأنه إذا كان هذا على سبيل الغيرة فليس على سبيل الطاعة، فحرص على أمر أقرب الناس إليه وهم أهله وزوجه وحبه صلوات الله وسلامه عليه،

وهذا يدل على أنه ينبغي على الداعية والآمر بالخير والناهي عن الشر، أن يبدأ بأهله وأن يتفقد أهله وألا يترك الأمر لهم هكذا سواء كان في الخاصة أو العامة، ولذلك كان عمر رضي الله عنه يقول: يجمع أهله فيقول: **(لا أتقدم على الناس فآمرهم بأمر أو أنهاهم عن شيء فيفعله واحد منكم إلا أوجعته أو جعلته عبرة للناس)** وهذا يدل على عناية السنة والسلف الصالح رحمهم الله بهذا الأمر.

(المتن)

باب المعتكف يدخل رأسه البيت للغسل.

حدثنا عبد الرحمن بن محمد قال: حدثنا هشام قال: أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها **أنها كانت ترجل النبي ﷺ وهي حائض وهو معتكف في المسجد وهي في حجرتها يناولها رأسه.**

(الشرح)

هذا تقدم بيان المسائل المتعلقة به، قد كرره المصنف لاختلاف المسائل ولا بأس إذا كان النبي ﷺ أدنى رأسه لعائشة، أخذ منه العلماء دليل على أنه يجوز للمعتكف في المعتكف أن ينظف شعره أو يرجل شعره لكن دون ما يفعل هذا أمام الناس، لأنهم من خوارم المروءة

وما أبيح وهو في العيان *** يقدح في مروءة الإنسان

ولذلك أدني رأسه خارج المسجد، وهذا نوع من الستر منه ﷺ لأن عائشة كانت ترجل وهي أهله والغالب في أهل الإنسان الستار وقد كانت الستار بين المسجد وبين الحجرة، فإذا أدنى رأسه كان هناك نوع ستر لمن يرجل وهو النبي ﷺومن ترجله، فتسريح الشعر أمام الناس هذا من الأمور التي هي خلاف الأولى، وخوارم المروءة مؤثرة ولذلك قال ﷺ كما في الحديث الصحيح «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت»، ولابد من

الحياة، يجوز للمعتكف أن يسرح شعره وأن يصلح هيئته وشارته، لكن على وجه لا يؤثر خاصة إذا كان من أهل الفضل ونحو ذلك، يتقي الأمور التي لا تليق به أمام الناس لأنه من الحياء، والمروءة والحياء أمر ينبغي المحافظة عليه

مررت على المروءة وهي تبكي *** فقلت على ما تنتحب الفتاة

فقالت كيف لا أبكي وأهلي *** جميعًا دون خلق الله ماتوا

يعيش المرء ما استحيا بخير *** ويبقي العود ما بقي اللحاء

الحياء كله خير كما قال ﷺ.

القارئ: أثابكم الله فضيلة الشيخ، ونفع بعلمك المسلمين وغفر الله لك ولوالديك وجميع المسلمين.

السائل: هل المساهمة في مشاريع الصدقة الجارية ببعض المال كبناء مساكن الأيتام وبناء المساجد وشراء المصاحف يعتبر من الصدقة الجارية المستمرة للمساهم ؟

الشيخ: بسم الله الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد:

فالصدقة الجارية الواردة في الحديث هي الإحسان الذي يبقى ويجري أجره بعد وفاة الإنسان، وهذا يكون في الأمور التي تبقي بعد وفاة الإنسان، كحفر الآبار واستخراج المياه منها وشرب الناس منها، وبناء المساجد وصلاة الناس فيها، وبناء المدارس، وطبع الكتب ونشرها بين الناس، ونحو ذلك، هذه

صدقة جارية هي أجرها يجرى على العبد حتى بعد وفاته، فمن بني مسجدًا وتركه من بعده فإن أجره باقي، وهذا هو الذي استثناه النبي ﷺ بقوله في الحديث الصحيح: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: علم ينتفع به وصدقة جارية وولد صالح يدعوا له»

فالصدقة الجارية لا ينقطع معها أجر صاحبها فإذا توفي وأبقي في الناس خيرًا، مثلًا لو أنك علمت ابنك الصلاة، علمته الوضوء فإنه إذا مات الإنسان جميع صلاة هذا الابن في ميزان حسناتك، ولو أن هذا الابن علم غيره الوضوء وعلمه الصلاة كان لك أجره وأجر من علمه،

وهكذا إذا علمت العلم ونصحت ووجهت وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر فإنه يبقى أجره، ولو أن إنسانً وعظ عاصيًا متهتكًا وظالًما فانتفع العاصي بموعظته فأصبح كل ما يريد المعصية يتذكر معصية الرجل فيمتنع يكتب له أجره كل ما تذكر هذه المعصية، فلو توفي الآمر والناهي فإنه يبقى الأجر له حتى بعد وفاته، هذا كله من الخير كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: «من دعا إلى هدىً كان له أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة لا ينقص من أجورهم شيئا»، ولذلك رغب العلماء في تعليم أبناء المسلمين القرآن، وتعليمهم السنة، وتحفيظهم القرآن والسنة، تعليمهم العلم النافع لأنه أجر باقي، وخير يخلفه من بعد وفاته،

وهكذا مكارم الأخلاق من مثل بناء الصدقات ببناء الدور للأيتام والأرامل ووقف الأوقاف والأربطة وتحبيس الحبس ونحو ذلك، كله من الصدقة الجارية الباقية للإنسان بعد وفاته،

فإذا ساهم هذا يأتي على صورتين:

إما أن يكون الشخص بنفسه ينفرد بالعمل الصالح فأجره فيه كاملًا،

وإما أن يجتمع مع غيره مثل أن يستهم ثلاثة أشخاص في بناء مسجد، فلهم الأجر بقدر ما استهموا، ولهم القدر على قدر تعبهم نصبهم في المسجد، فمثلا لو كان المسجد بناءه بثلاث ملايين ودفع كل واحد منهم مليونًا كان لكل واحد منهم الثلث من الأجر، لكن لو أن أحدهم هو الذي بناه، وهو الذي أشرف عليه وهو الذي تعب فيه، زاد أجره بقدر ما وضع في هذا المسجد فالله لا يظلم أحدًا قال ﷺ في الحديث الصحيح: «ثوابكِ على قدر نصبكِ»، فمن ساهم في شيء فأجره على قدر المساهمة مادة ومعنى، وهذا كل راجع إلى الخير الذي يكون من هذه المساهمة ويكون سهمه على قدر ما يكون منه من الخير والله تعالى أعلم.

السائل: كيف يكون العبد موفقًا ما يسمع بباب خير إلى وفق له تجده مع المصلين والصائمين والقائمين والمحسنين والبارين وهكذا؟

الشيخ: ما أعظم هذا السؤال!

هذا السائل لو جلسنا شهور بل والله سنوات والله ما نحصيه لأن هذا كله الدين كيف يكون موفقًا؟ يكون العبد موفقًا بأمور منها ومن أهما وأعظمها:

أولًا: سؤال الله والدعاء، أكثر من سؤال الله الهداية، ولذلك كان ﷺ يقول: «اللهم اهدني وارحمني واجبرني» كما ثبت في الحديث الصحيح أنه كان يقول ذلك بين السجدتين، أن تكثر من سؤال الله اللهم وفقني لما تحبه وترضي، اللهم اعصمني، كان عبد الله بن عمر رضي الله عنها كما وري البيهقي عنه بسند صحيح إذا اعتمر أو حج ورقى الصفا والمروة يقول في دعائه ومن دعاءه: (**اللهم اعصمني من بطواعيتك وطواعيت رسولك ﷺ**)، تسأل الله الدين وأن تسأل الله الاستقامة من كل قلبك، والله يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]^،

كم من أقوام سألوا الله بصدق أن يكونوا من الصالحين فبلغهم الله درجات الصالحين علمًا وعملًا فجمع لهم بين النية والظاهر والباطن،

وهذا كله بتوفيق الله أن تدعوا الله ﷻ، أن يهديك وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم»، اللهم إنا نستهديك فاهدنا، وفي الحديث الصحيح عن

الحسن ﷺ أن النبي ﷺ علمه دعاء القنوت فقال: «قل: اللهم اهدني فيمن هديت»،

فاسأل الله دائمًا أن يهديك، ولا تتكل على صلاحك واستقامتك

وليكن معك الخوف الشديد من الانتكاسة، وزيغ القلب فقل: اللهم إني أعوذ بك من زيغ القلب فإنه لا يهلك على الله إلا هالك، قد يستقيم الإنسان على الطاعة فيأتي في لحظة واحدة وينظر إلى طاعته فيغتر فيزيغ قلبه والعياذ بالله، ويبلي بالانتكاسة تكون على حذر وخوف، ومن خاف أمن ومن خشي سلم، هذا الأمر الأول كثرة الدعاء أن تسأل الله ﷻ لأنه أمر هو من فضل الله ولا يعطيه إلا الله.

أما الأمر الثاني للتوفيق: فهو الأخذ بالأسباب التي تحقق وتعين الإنسان على أن يكون موفقًا، **وأعظمها وأجلها على الإطلاق** كتاب الله جل جلاله وسنة النبي ﷺ، فلن تجد توفيقا إلا بالقرآن والسنة، فمن رزقه الله ﷻ حب القرآن وكثرة تلاوة القرآن والتأثر بالقرآن، والبكاء من آيات القرآن، والخشوع عند سماع القرآن، وحب سماع القرآن والتأثر عند سماعه فإنه أقرب الناس إلى التوفيق، وأقربهم للتحقيق وأقربهم لسلوك أقوم من طريق، جعلنا الله وإياكم ذلك الرجل، أن تحب كتاب الله ومن أحب شيئا تأثر به ولذلك قال ﷺ: «من أحب قوم حشر معهم»، السبب في أنه هذا أنه سيتأثر بهم ويقول

بأقوالهم ويعمل بأعمالهم، وليكن شعارك دائما أن تكون بخير المنازل مع كلام الله ﷻ،

لا ترضى لنفسك مع القرآن بالقليل، إياك ثم إياك أن ترضى لنفسك من القرآن باليسير بل عليك أن تجد وتجتهد تحاول حفظ القرآن، ثم تحاول فهمه وتدبره، وتحاول تطبيق كل ما جاء في كتاب الله ﷻ، وإن من التوفيق أن تجد الإنسان إذا نشر كتاب الله بين يديه، أحس كأن الله يأمره وينهاه فيبكي لوعده ووعيده، ويخشي من تخوفه وتهديده، وإذا سمع الجنة طار شوقًا إليها فتجده ينتظر متى ينتهي من القرآن لكي يعمل خصلة من الخصال التي سمعها بكتاب الله ﷻ؟ يسمع كتاب الله ﷻ يأمره بالصلاة فيكون أسبق الناس للصلوات وإجابة الدعاء والمسابقة إلى الصفوف الأولى، والتأثر بسماع الأمة والقراء، والخشوع عند سماع القرآن، يتمنى أن منزلته للصلاة أعلى المنازل وأشرفها وأجلها، ويحطم هذه النفس ويهينها ويذلها في التقرب إلى الله في ذلك، يسمع كتاب الله يدعوه إلى الصدقة فلا يمر على مسكين ولا محتاج ويستطيع أن يعطيه شيء إلا أعطاه، ولا يمر على مكروب أو منكوب، أو مفجوع ويستطيع أن يشفع له أو يقضي حاجته إلا سعي له في ذلك، فلا يزال العبد يجتهد مع كتاب الله ﷻ حتى يبلغ أعلى درجات التوفيق، وهذا في طلب الخيرات ثم ينظر في كتاب الله ﷻ في زواجره ونواهيه، فبمجرد أن يقرأ الآية تنهاه عن حرمة من حرمات الله، نظر أين مقامه من هذا النهى وأين هو من هذا القرآن الذي نهاه

وزجره، وأن هذه الآية التي تلاها حجة عليه بين يدي الله ﷻ فيخاف ويخشي- فيقاد إلى التوفيق توفيق لترك المعاصي والزهد فيها واحتكارها، واحتكار أهلها، والبعد عن مواطنها ومظانها، وما يرغب فيها، وما يدعوا إليها، وما يزينها، لأن القرآن قام على هذا، فإذا قرأت القرآن وجدته يزهدك في كل شيء فيه معصية الله ﷻ، يزهدك بتحقير المعصية، يزهدك بتخوفيك من المعصية، يزهد بكشف حقيقة المعصية، انظر إلى كتاب الله ﷻ كيف يقود الإنسان إلى التوفيق هو يكشف له حقائق الأمور، ولذل يحرم الإنسان التوفيق متى كان على عينه غشاوة، فأصبح كالأعمى لا يدرى أين يذهب لكن الموفق عنده بصيرة، يكشف بها حقائق الأمور بتقوى الله، إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانًا، والفرقان هذا هو القرآن: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:١-٢]^، فالموفق هو الذي اهتدي بالقرآن وكملت هدايته بالقرآن، لا يستطيع أن يقدم أمرًا على أمر القرآن لو قيل له: إن الناس كلها تخالفه، وهو تمسك بالقرآن لم يبال بالناس أين ذهبت، إذا قيل له: إن الناس تستهزئ به وهو يعمل بالقرآن ويقول بالقرآن لم يزده ذلك إلا تمسكًا، إذا تغير الزمان وفسد الناس وأصبحت التساهل في الحدود والمحرمات، وأصبحت آيات القرآن منسية كان الموفق أقرب الناس لكتاب الله، وزاده ذلك تمسكًا بكتاب الله وحبًا لكتاب الله، فلا يؤثر فيه سخرية الساخرين ولا استهزاء المستهزئين، من دلائل التوفيق أنك تجده مع القرآن في جميع أموره أمرًا ونهيًا، وترغيب وتحبيبا إن الرجل يجمع المال

ويكدح في جمعه آناء الليل والنهار، فيبني بيتًا أو ينشئ مزرعة أو يـرى الـذهب والفضة بين يديه يلعب بها لعبًا، فإذا قرء القرآن وسمع آيات الله تحركه لضعفاء المسلمين، وأراملهم، ومعوزيهم، وبائسيهم خشع لله قلبه، وزرفت مـن خشـية الله عيناه وخرج يلتمس الضعفاء، والفقراء، والأيتام، والمساكين، والمحتاجين، ويعطيهم شيئا تعلقت به نفسه فاحتكر هذه النفس وهانها أمام كتـاب الله هـذا هو الموفق، التوفيق ليس بالدعوى، والتوفيق ليس بـالغرور أن يطلـق الإنسـان لحيته ويقصر ثوبه، ويصلى الصلوات الخمس دون مبالـة بـالكمالات، التوفيـق مركبة عالية زاكية سامية تحترق فيها القلوب والقوالب شوقًا إلى ربها وحنين لما عند الله تجد العبد يرث المال ويرث الدنيا ويكون عنده زهـرة الـدنيا ومتاعهـا، فيشتم رائحة الجنة بكتاب الله فيوفق إلى احتقار الدنيا.

من دلائل التوفيق أن العبد لا تجده في أي أمر من الأمور يعلـم أن الله يحبه ويرضاه إلا قدمه على كل شيء، الموفق هو الـذي يسـأل كـأن الإنسـان حاله يقول: يا رب بما تأمرني فأفعل وما الذي تنهاني عنه فأترك؟ يا سبحان الله! قالت المرأة لزوجها: أأمـرني وإني مطيعـة، وقـال الرجـل لابنـه يدلـله: تـأمر وتدلل، فكيف بملك الملوك سبحانه وتعـالى إذا أصـبح أمـره لا يـرد عنـدك؟ الموفق هو الذي لا يمكن أن يقدم على أمر الله شيئا، قدم أمر الله على نفسه التـي بين جنبيه فأهانها وأذلها، قالت له النفس: أنها تريد أن تنام وقد أخـذت قسـطًا من النوم فقال لها قومي: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَـدْعُونَ رَبَّهُـمْ خَوْفًـا

وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[السجدة:١٦-١٧]^، هؤلاء هم الموفقون نادى عليه مناد الله في صلاة الفجر، في شدة البرد والحر والكرب أن اخرج يا عبد الله إلى الفلاح إلى الصلاح، قال: لبيك وسعديك يا رباه، ثم يزاد في التوفيق فتجده يقوم الأسحار فعلم أن الله يحب المستغفرين بها فيستغفر، ثم علم أن الله يحب أن يراه في ثلث الليل الآخر فنام مبكرًا، وزهد في الناس وفي مجالس الناس وفي القيل والقال، وصار إلى ربه حثيثًا ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾[طه:٨٤]^، هذا هو الموفق الذي كسر نفسه وأهانها ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾[النازعات:٤٠]^، اشتهت نفسه الملهيات فأهانها، واشتهت نفسه المتع واللذات فأهانها وقهرها وصاغها إلى ربها، هذا الموفق الذي قام أبناءه وبناته بفتنة يشغلونه عن ذكر الله فقدم ذكر الله على أهله وماله وولده، كم نظر الله إليه وهو يستطيع أن يتمتع بأزواجه وأبنائه وبناته، وفرج من بيته لطاعة من طاعات ربه الله يعلم كم من موفق خرج في ظلمات الليل وفي شدة الحر والقر في شدة الهاجرة إلى يتيم يكفف دمعة، أو إلى مسكين يجبر كسره، أو إلى ضعيف يرحم ضعفه لأن الله ناداهم فقال: ﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾[البلد:١١-١٦]^

يوضع بين يديه الطعام والشراب الفاره، فيتذكر أيتام المسلمين وأراملهم ومحاويجهم، فيحمل هذا الطعام ويخرج إليهم، هذا الموفق الذي علم أن هناك ضعفة منهن من هي بنت ستين والسبعين، قد يراها على القمائم تجمع القمائم فيحترق فلما يرى أرملة من أرامل المسلمين لو كانت أمك أو أختك، وهي تخرج في شدة الهجير يمر عليها فيراها فتحترق نفسه، فيأخذ المال الذي في جيبه فلا تعلم يمينه ما أنفقت يساره، لأنه لا يعد المال ولا يحصيه، يأخذ جميع ما في يده ويعطيه للأرملة، يشتري ما عند الله موفق للجنات موفق للباقيات الصالحات، لم تشغل بالسيارات ولا العمارات ولا حب المظاهر، ولا الزينة علم أن ذلك زائل وأنه حائل، هذا الموفق الذي يشترى ما عند الله ويبتغي ما عند الله يرى نفسه طيلة العام في لهو ولعب هذا شهر الصوم أريد أن أقبل على ربي يري نفسه طيلة العام غافلًا عن تدبر القرآن فإذا جاء شهر الصوم ختم القرآن قراءة وتدبرًا وسأل نفسه أين هو من هذه الأوامر والزواجر؟ إنه الموفق الذي كسر كل شيء لمرضات ملك الملوك وإله الأولين و الآخرين، الموفق هو الذي لا يقر قراره إثر عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه جاء لفاطمة زوجة بنت عبد الملك رحمهم الله جميعا برحمته الواسعة، وهو يبكي فقال لها قد علمت أن أعظم ما يشتهيه أهل النار الماء ثم تلي قول الله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾[الأعراف:٥٠][٨] هذا القلب قلب الوفق الذي يتدبر القرآن في كل وقت جامع زوجته ثم جلس مع زوجته

يحدثها حديث الزوج مع زوجته يحدثها حديث اللهو والمتعة، ما رضي إلا أن يكسر نفسه إلا لله، كانوا مع القرآن الموفقون هم أهل الله أهل طاعته، أهل محبته أهل ولايته، إذا أردت أن ترى الموفقين فابحث عنهم بين اليتامي والمساكين، إذا أردت أن ترى الموفق هو الذي صب الله عليه المال فأصبح يرى زاهدا متزهدًا، أصبح يرى متقشفًا لن يبالغ في ملبسه و لا هيئته ولا منظره، هو الموفق الذي ارتفع في عيون الناس فكسر نفسه لله، فزاده ارتفاعه ضعة وتواضعا لله ﷻ فازداد رفعة عند ملك الملوك، الموفق كلمة تعنى عبد من عباد الله اصطفاه الله واجتباه، عبد يذكر بالله وبطاعته ومحبته ومرضاته، الموفق هو المسدد في قوله، إذا جلست معه سمعت التسبيح والاستغفار وتلاوة القرآن، إذا جلست مع الموفق هو الذي إلا جلست معه لا تسمعه يغتاب مسلمًا، أثر عن بعض الأخيار أنه توفي فلما توفي أقسم بالله العظيم من صحبه قال: والله ما سمعته يومًا من الأيام يغتاب مسلمًا. وأثر عن بعض أهل العلم و أن أذكر عن بعض المعاصرين رحمهم الله أنه قال عنه أحد العلماء من معاصريه يقول: صحبت فلانًا فو الله مدة طويله والله ما سمعت منه كلمة نابية يومًا من الأيام، أين هذا هو الموفق في قوله؟ التوفيق ليس بالدعاوي العريضة وليس بالتشهي ولا بالتمني، التوفيق أمارات ودلائل بينات، قامها صالح المؤمنين والمؤمنات، فالتوفيق سداد من الله ورشد يصيبه العبد بفضل الله ﷻ لا يزال العبد موفقا حتى ترفع درجته وتغفر خطيئته، الموفق هو الذي أبكاه ذنبه، هو الذي لم ينسى

ماضيه لكي يحرق نفسه ويحترق في طاعة الله سبحانه وتعالى، والموفق هو الـذي لم ينسى ما هو مقبل عليه وهو آخرته ولقاؤه لربه، الموفق هو الذي ذكـر المـوت وشدته، والحساب ومئونته وخفـف الحمـل للقـاء الله ﷻ، الموفـق هـو الـذي يبحث عن كل شيء يذكره بالله في كل كلمة يسمعها وكل كلمة يقولهـا، الموفـق الذي أحب الكتاب والسنة وصار على وفق الشريعة والملة، الموفق عبد من عباد الله إذا رأيته تذكرت رسـول الله ﷺ، الموفـق عفيـف اللسـان عفيـف الجـوارح والأركان لا يزال العبد يأخذ بأسباب التوفيق التي من أعظمهـا كتـاب الله ﷻ تلاوته وتدبره، وسـنة النبـي ﷺ بقـراءة سـيرته والعمـل بهـا والـدعوة إليهـا، والاهتداء بهدي السلف الصالح، الموفق توفيقه يكـون في الأقـوال ويكـون في الأعمال، يكون في الأقـوال فـلا يكـذب الإنسـان، ولا يغـش، ولا يـزور، ولا يمدح نفسه لا يغتر بمدح الناس له هذا من التوفيق في قول الإنسـان أن يكـون الإنسان قوله سديدًا وهي وصية الله لعبادة و أوليائه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾[الأحزاب:٧٠]^، تجد الرجل الموفـق إذا دخـل بيتـه كان أول ما يتكلم به ذكر الله، وإذا جلس مع أهله وولده علمهم شرع الله، وإذا جلس بين إخوانه وخلانه أعانهم على طاعة الله، لا الموفـق هـو الـذي لم تضـع ساعاته، ولم يخب يومه وأمسه، وكان يومه خيرًا مـن أمسـه وغـده أفضـل مـن يومه، كل هذا بتوفيق الله ﷻ ولا يكون ولن يكون غـلا بالاهتـداء بكتـاب الله ﷻ ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء:٩]^، اللهم اجعلنـا ممـن

اهتدي بالقرآن ومن أعظم الأسباب التي تعين على هذه الأمور وأعظمها بعد كتاب الله ﷻ وسنة النبي ﷺ كثرة زيارة المقابر، وتذكر فراق الدنيا، واحتقار هذه الدنيا، وأنها زائلة وأنها حائلة، لتنظر لهذه الدنيا كيف مكرت بأهلها؟ لتنظر بهذه الدنيا كيف متعت أقوامًا ثم أذاقتهم وجرعتهم غصتها فخرجوا منها صفر اليدين إلا من رحمة الله، السعيد من وعظ بغيره، السعيد من اعتبر وادكر: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُوْلِي النُّهَى﴾[طه:٥٤]^، الموفق هو الذي نظر إلى حقيقة هذه الدنيا فيحتقرها بذكر الآخرة، ما قوم العبد ليس هناك شيء بعد كتاب الله وسنة النبي ﷺ يؤثر في قلوب الناس وقوالبهم، ويدعوهم إلى الاستقامة ويكون سببا في توفيق الله لهم مثل ذكر الموت والآخرة، من علم أنه سيموت أنه سيفارق الدنيا، وأن موته لا يعلم في أي ساعة يأتيه وأنه لا يضمن أن يبقي هذه الساعة لا يدرى، قد يكون قد حفرت له حفرته، ونسج له كفنه من أكثر من ذكر البلا والمصير إلى الله جل وعلا هانت عليه الدنيا، وذهبت عنه وانقطعت عنه كل الأمور التي تحول بينه وبين الله ولذلك قوم الله سلوك المؤمنين وهذب أخلافهم بذكر الآخرة، ليس هناك شيء يهذب أخلاق الناس مثلا الآخرة الذي يعلم أنه سيموت تهون عليه لذات الدنيا، تهون عليه شهواتها تهون عليه المحرمات، لو جاءته الحرمة من حرم الله لو جاءته المرأة عارية لن يبالي بها وهو يذكر الآخرة، «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»، إذا ذكر الإنسان ومن أركان الإيمان الستة: الإيمان باليوم الآخر، من ظن أنه

سيموت كما مات أبوه وأمه ماتت أمه مات إخوانه و خلانه وأصحابه وأحبابه من زار القبور ورأى العظماء والكبراء رأي أقوامًا طالما امتلأت الدنيا بأخبارهم وأمورهم كيف صاروا إلى الحد والبلا؟، صاحي هذه القبور ما تملأ الرحب فأين القبور من أهل عاد خفف الوطئ ما أظن أديم هذا الأرض إلا من هذه الأجساد، انظر إلى القبر وانظر إلى المقبور، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور إلا فزوروها»، فالموفق جعل في يومه في أسبوعه في شهره زيارة للقبر خاصة إذا كان للأقرباء وكان للآباء والأمهات، يتذكر الأعزة والأحبة كيف صاروا إلى الله؟ يتذكر أقوامًا طالما ما أحبهم وأحبوه وطالما كانوا بقربه، قد تكون زوجة قد يكون ابن فلذة كبد فينظر كيف حاله بيه وبين ابنه التراب؟، لا يملك له ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورا، فيعلم أن الله أمره جد وليس باللعب يعلم أن الحياة ليس لهوا ولا لعبا: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[الأنعام:٩٤]^، عندها تنكشف عن عينيه ينكشف الغطاء، ويعلم أنه صائر إلى هذا المصير ومنقلب إلى هذه الحفرة، وأنه سيمرغ وجهه بالتراب، وأنه سينزل إليها كما نزل إليها من قبله وأنه ستهان كرامته وتذهب عزته فيزل في عزته، ويهان في كرامته إلا أن يرحمه ربه، عندها يوفق لمعرفة حقيقة هذه الدنيا يوفق لكي ينكشف عنه الغطاء وعندها يسأل نفسه لما خلقني الله؟ لما أنا موجود؟ هؤلاء الموتى قد حيل بينهم وبين ما يشتهون، فما أحوجني أن أملأ صحيفة عملي بذكر الله، ما أحوجني أن أترك

المحرمات، ما أحوجني أن أترك الشهوات، ما أحوجني أن أستفيق من غفلتـي وأن أعمر آخرتي، وأن أصلح ما بيني وبين ربي، مـا أحـوجني إلى دمعـة تطفـئ حرارة قلبي ويغسل بها ذنبي ويرضي عنى ربي، ما أحوجني أن أفكر لما خلقـت ولما أوجدت، أكمل الناس توفيقًا من حقق هذا الأمـور وعلـم أن الله لم يخلقـه عبثا ولم يجده سدي عندها يبكي على الدقيقة فضلًا عن الساعة يبكي على الثانية فضلًا عن الدقيقـة، عنـدها يعلـم أن الله لم يخلقـه عبثـا وأن الله لم يجـده سـدي فيتحرك إلى ربه بشوق، يتحرك إلى الله بمعرفة يتحرك إلى الله بانكسـار، يرجـوا من الله أن يجبر كسره وأن يرحم ضعفه ولا يزال هذا الذكر للآخرة يحركـه كـل ما غفل في الدنيا ذهب إلى القبر فنظر إلى أبيه وأمه وأختـه وأخيـه، وأمـه وأبيـه وفصيلته التي تؤويه، أين الأعـمام والعـمات والإخـوان والخـالات والإخـوان والأخوات والأصحاب والأحباب من الـذي أبقـاني مـن بعـدهم، فـإذا كـان موفقا، تحرك قلبه إلى ربه بهذا الأمر وجعل هذا الأمر ديدنه والله لـو كـان أهـل القبور سئلوا عن أحب شيء ما تمنوا القصور التي كانوا يسكنونها ولا المراكب التي كانوا يركبونها ولا الخلان والإخوان ولا الأعواد ولا الأوتـاد ولا الأمجـاد ما تمنوا إلا تسـبيحة تـزاد في صـحيفة أعمالهـم، أو اسـتغفارة تـزاد في صـحيفة أعمالهم، أو خير يرجون به ربهم الموفق هو الذي عرف حقيقة الأمور وأزال الله عنه الهوى والغي والشرور، فأيقظه من غفلته ونبه مـن منامـه أن النـاس تلهـو وتعلب وهو في عزة وكرامة لطاعته لله ﷻ، ولا يزال العبد يتذكر الآخرة حتـى

يزهد في هـذه الـدنيا و يعـرف حقيقتهـا، وحقيقـة أهلهـا يعـرف فيهـا الغـش والكذب، فيترك الغش والكذب إلى دار الآخرة التي أهلها أهل صـدق وأهـل جد، يترك هذه الدنيا بنفاقها وريائها وزهوها إلى الآخرة المليئة بالرحم والعفـو والمغفرة، فيعد للأمر عدته وقال الله في كتابه: ﴿لَقَـدْ كُنْـتَ فِي غَفْلَـةٍ مِـنْ هَـذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[ق:٢٢]^.

إن من توفيق الله أن تعلم إنه إذا دنـت سـاعتك وحانـت سـكرتك، أنـك تسـتفيق إفاقـة مـا أفقـت في الـدنيا مثلهـا، ﴿وَجَـاءَتْ سَـكْرَةُ الْمَـوْتِ بِالْحَقِّ﴾[ق:١٩]^وقيل: ﴿جـاءت بـالحق سـكرة المـوت﴾ في قـراءة، أي أن سكرة الموت جاءت بالحق الذي لا باطل فيه، عندها ينكشف للإنسـان سراب الدنيا، وهذه الدنيا التي عاشها عشـرين أو ثلاثـين أو سـتين أو مائـة سـنة تمـر كلحظة واحدة ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِـمُ الْمُجْرِمُـونَ مَـا لَبِثُـوا غَـيْرَ سَـاعَةٍ﴾[الروم:٥٥]^، هول تنتهي عنده الأشياء وتنقضي.

التوفيق أن تتذكر أنه الله ﷻ خلقـك لتوحيـده وعبادتـه، وأن هـذا اللهـو واللعب كله سينتهي إذا انكشف الغطاء

غدًا غدا ينكشف الغطاء *** كم من شدة بعدها رخاء

لاينبغي للإنسان إذا أراد التوفيق أن يلهوا مع اللاهين وعليـه أن يسـتفيق وأن يسلك الطريق الذي يقربه إلى الله، وأن يسعى إلى الله حثيثًـا، وألا يبـالي إلا مرضات الله ﷻ، أسعد الناس بالتوفيق وأولاهم به من ذكر الله في جميع أحواله

هو العبد الذي لا يفتر عن ذكر الله طرفة عـين، قلبـه دائـمًا يتـذكر الله ﷻ تـراه مشلولًا على الفراش يحمل، حامدًا لله شاكرًا راضيًا بقضـاء الله صـابرًا، محتسـبًا حامدا لله على عافيته يقول: ما دام ديني سالمًا فلا أبالي. إلهي إني راضيا بقضائك وقدرك راجٍ برحمتك، لا يزال موفقًا في البلاء بالكلام الذي يرضي ربه، يتملـق الله ﷻ، يرضي الله وحال في أشد الحالات تجده محمومًا مريضًا في شدة البلاء في شدة الكرب ولا يزال يثني على لأنه ما غفل عن الله طرفة عين، لا تجده يصرـخ ولا يتجزع ولا يجزع يتذكر قول النبي ﷺ: «عجبت لأمـر المـؤمن إن أمـره كلـه خير»، فتجد نفسه عالية هذا التوفيق، لقد خرج أقوام من الدنيا بكلـمات رضي الله بها عنهم رضًا لا سخط بعده أبدًا، يقول الطبيب للمريض: ذهـب بصرـك. فيقول: إن لله وإن إليه راجعون. عبد ملك لله أعطاني الله بصري وابتلاني بفقده اللهم رضيت بقضائك وقدرك، يقال: يا فلان مات ابنك. قال: إنا لله وإنا إليـه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خـيرا منهـا، مـات أبـوك، ماتـت أمك، مات أخوك، ماتت أختك، مات حبيبك قال: رضيت بالله إنا لله وإنا إليه راجعون، توفيق كلام تفتح له أبواب السموات ﴿إِلَيْـهِ يَصْـعَدُ الْكَلِـمُ الطَّيِّـبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[فاطر:١٠]^، التوفيـق أن تعـرف مـن ربـك وكيـف تعامله أن تعلم أنه لن تكون حركة في هذه الدنيا ولا سكون، إلا بأمر الله أنـك تحت أمره تحت قهره: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًـا وَكَرْهًـا﴾ [آل عمران:٨٣]^، يأتي الشيطان ويقول للإنسان: أأنـت الـذي كنـت تـذهب

وتأتي، وأنت الذي تصول وتجول، وأنت الذي كان عندك المال والغنى، اليوم أنت فقير هكذا يفعل بك ربك، يقول: نعم ونعمت عيني ورضيت بما كتب لي ربي، المال مال الله، فإن أعطاني رضيت بالله وإن أخذه منى فلا اعتراض على قضاء الله، يقال هذا السكر قد أخذ قدمك هلم نقطعها، يقول: رضيت بالله، أحتسب الثواب عند الله، توفيق موفق لا يقول إلا ما يرضي الله.

الموفق يقول الكلمة فيكتب الله له بها رضاه إلى يوم أن يلقاه، الموفق يعمل العمل فيرضي الله رضًا لا سخط بعده أبدًا، يأتيك البلاء، تأتيك الفجائع، تأتيك الفوازع، القوارع فتتلقاها بالنفس المؤمنة، تتلقاها بالصدر المنشرح بالقلب المطمئن رضيت بالله إنا لله وإنا إليه راجعون، تكون مع الله في جميع أحوالك، فإذا أعطاك الله الخير وبسط لك من النعمة نظرت إلى نعمته، يدخل الرجل على أهله وولده وزوجه فيقول: يا رب كنت وحيدًا فسترتني، وأعطيتني زوجة، أعف بها فرجي وأحصن بها فرجي يا رب لك الحمد، ثم أعطيتني زوجة مؤمنة تصبرني وتذكرني بك يا رب لك الحمد، ثم أعطيتني زوجة في عافية يا رب لك الحمد، ثم أعطيتني أولادًا وأردت أن يبقي عقبي لم تقطع لي عقب يا رب لك الحمد، ثم أعطيتني ذكورًا وإناثًا يا رب لك الحمد، فلا يزال ينظر أن تعيش مع الله أن لا تكون مع الغافلين، أن لا تلهوا مع اللاهين، الموفق هو الذي وفق في سيرته وسريرته، هو الموفق في قلبه الذي امتلاء بالله ﷻ وامتلاء بما عند الله، لا يغتر بشيء حاله كله مع الله، ولذلك في

قصص الأنبياء الذين قص الله أخبراهم كيف ذلوا لربهم واستكانوا، وتضرعوا لله وما اغتروا وما ضيعوا الأمانات، وما خانوا، ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[النمل:٤٠]^، انظر نبي جعله الله له الجن تحت الأرض من الجن: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل:١٧]^، ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ [ص:٣٥]^، فلما أوتي هذا الملك قال الملك لربي وليس لي، ذل لله وانكسر ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾، ثم بين أنه إن شكر فبفضل الله وأنه من كفر فإن الله غني عن العالمين، هذا في حال النعمة.

أما في حال النقمة: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ * قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ * قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٨٤-٨٦]^موفق لأن قلبه مع الله ﴿أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ من هو الله؟ شكى بثه وحزنه إلى أرحم الراحمين، لو أنك يومًا من الأيام أصابتك مصيبة أو أذيت بأذية، فأردت أن تشتكيها إلى مخلوق فاعلم أن الشكوى تكون إلا إلى الله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾، المنتهى لكل شكوى وسامع كل نجوى، ما بالك بمن لا يخفي عليه شيء فهو يسمعك، وما بالك إذا كان الذي لا يخفي عليه ويسمعك أنه أرحم الراحمين، لمن تشتكي؟

لقد قطع الله شكوانا عن غيره قال: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ توفيق.

الموفق هو الذي تظهر دلائل التوفيق في قوله وعمله، وسمته ودله، في الشدائد، في المصائب في الخيرات، في النعم تأتي النعم إلى العبد تزف فيطأها بقدمه في مرضات الله جل جلاله، ومحتبه ينفق الألوف ولا يراها إلا كالريالات، وينفق الملايين وكأنها لا تساوى شيئا في جنب ملك الملوك سبحانه وتعالى، هذا هو منهي التوفيق أن يكون الإنسان ذاكرًا لله

صاح شمر لا تزل ذاكر الموت *** فنسيانه ضلال مبين

صدق الله إذ يقول: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت:٤٥]^، إن أعظم آية ودليل وعلامة على التوفيق أن ألإنسان لا يفتر عن ذكر الله ﷻ، في أمره، في عسره في يسره، في سرائه في ضرائه، في منشطه في مكرهه، يقول لسان حاله: يا رب، بماذا تأمرني وعن ماذا تنهاني؟ اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسني وصفاتك العلا أن ترحم ضعفنا، اللهم ارحم ضعفنا، اللهم إنا نسألك رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا، اللهم إنا نسألك رحمة من عندك تصلح بها فسادنا، اللهم إنا نسألك رحمة منك ترزقنا بها الاستقامة وتؤمننا بها يوم القيامة، وتجيرنا بها من حال الخزي والندامة، وتوقفنا بين يديك بلا عتب ولا عذاب ولا ملامة، يا رب العالمين يا أرحم الراحمين، اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله، اللهم افتح علينا أبواب رحمتك، وعمنا

بواسع مغفرتك، اللهم إنا نسألك في هذا المقام يا ذا الكمال والإكرام قد صامت لك أحشاؤنا وأمعائنا نحن في بيتك ومسجد نبيك ﷺ قد اجتمعنا لذكرك أن ترحمنا برحمتك الواسعة، اللهم ارحمنا برحمتك الواسعة، اللهم ارحمنا رحمة لا نضل بعدها أبدًا، اللهم ارحمنا رحمة نسعد فلا نشقي بعدها أبدًا، اللهم ارحمنا وارحم آبائنا وأمهاتنا وإخواننا وأخواتنا وأزواجنا وذرياتنا، ومن له حق علينا وجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات رحمة يا أرحم الراحمين تنور بها قبور موتانا وموتى المسلمين، وتفسح لهم فيها فسحة تدخل عليهم بها السرور إلى يوم البعث والنشور، يا أرحم الراحمين، اللهم لا تردنا خائبين في شفاعتنا لإخواننا المؤمنين، اللهم نور قبورهم، اللهم نور على أهل القبور قبورهم، وارحم المعذبين وأجرهم برحمتك يا أرحم الراحمين، الله أزل عن كل معذب عذابه، وارحم أهل القبور برحمتك الواسعة، وخص بذلك الآباء والأمهات، والإخوان والأخوات، و الإل والقرابات برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الله فرج همومهم، ونفث همومهم، اللهم اجبر كسرهم، وأصلح أحوالهم، واهدي ضالهم، وارحم معذبهم اللهم فرج عن المؤمنين والمؤمنات، اللهم قوى شوكتهم، يا حي يا قيوم اللهم أنت الله لا إله إلا أنت إله الأولين والآخرين آمنا بك أنت العزيز الجبار، إله الأولين والآخرين نسألك أن تنصر دينك وكتابك وسنة نبيك، وعباد الصالحين واجعلنا منهم برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم وأظهر الهدي ودين

الحق الذي ارتضيته لنفسك على الدين كلـه، واكتـب لأهـل هـذا الـدين عـزًا ونصرًا، واكتب لمن عاداه وآذي أهلـه ذلـه ومهانـة وقهـرًا، اللهـم دمـر أعـداء الدين، اللهم شتت شملهم، اللهم فرق جمعهم، اللهم اجعل بأسهم بينهم، الله أنزل بهم عذابك ورجسك إله الحق، اللهم دمرهم شر مدمر، واجعل دمـارهم قوة للإسلام وأهله اللهم اجعل كثرتهم قلة، وارمهـم بكـل داء وعلـه، زلـزل أقدامهم، وصدع بنيانهم، شتت شملهم، وفرق أعـوانهم، إلـه الحـق لا إلـه إلا أنت، اللهم وفق ولاة أمورنا إلى ما تحـب وتـرضى وخـذ بنواصـيهم بكـل بـر وتقوي الله، اللهم انصر بهم دينك، وأعل بهم كلمتك، وانشر بهـم رحمتـك يـا أرحم الراحمين، اللهم وفق ولي أمرنا لما تحبه وترضاه، اللهم اشرح صدره، ونور قلبه، اللهم اجعله سلمًا لأوليائك حربًا على أعدائك يحب بحبـك مـن أحببـت ويعادي بعداواتك من عاديت، اللهـم هيـئ لـه البطانـة الصـالحة التـي تـأمره بطاعتك، وترغبه في مرضاتك اللهم سدده ووفقه، وأعنه يا حي يا قيوم، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات اللهم فرج هم المهمومين ونفث الكرب عـن المكـروبين، واشـفي مرضـانا ومـرضي المسلمين، وارحم مواتنا وموتاهم أجمعين، اللهم اهدنا ولا تضلنا، وراحمنـا ولا تعذبنا، وسامحنا لا تؤاخذنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنـا ولا تؤثر علينا، وأرضنا ورضنا وارض عنا، يا حي يا قيوم اللهم اجعلنا ممـن صـام الشهر، واستكمل الأجر وأدرك ليلة القدر، اللهم اجعلنا من أسعد عبـادك في

كل خير نشرته، وفي كل بذل أنزلته، اللهـم اجعلنـا أسـعد عبـادك بمغفرتـك، اللهم اجعلنا أسعد عبادك و أفرجهم برحمتك، اللهم لا تحل بيننا وبين رحمتـك وبرك وإحسانك وحلمك بما كـان وسـلف مـن ذنوبنـا وتقصـيرنا، اللهـم إنـا نستغفرك إنك كنت غفـارًا، اللهـم إنـا نسـتغفرك مـن ذنوبنـا ونعـوذ بعزتـك وعظمتك أن تحول بيننا وبينك يا رب العالمين، اللهم اجبر كسرنا، واغفر ذنبنـا ،واستر عيبنا، وفرج كربنا، ونفث همنا وغمنا يا إله الأولين والآخـرين، اللهـم إنا نسألك لإخواننا في باكستان وغيرها من بلاد المسلمين أن تـرحم ضـعفهم، وأن تجبر كسرهم، اللهم أغث إخواننا في باكستان، وأغث إخواننـا في مشـارق الأرض ومغاربها يا رحمن، اللهم إنا نضرـع إليـك أن تـرحم ضـعفهم، اللهـم ارحم المعذبين وأطعم الجائعين، اللهم أطعم الجائعين، اللهم اكفهم هـم الـدنيا والدين، اللهم إنهم جياع فأطعمهم اللهم إن إخواننا جيـاع فـأطعمهم، اللهـم إنهم عراة فاكسهم، وإنهم خائفون فأمنهم، وإنهم مشرـدون ضـائعون فـآوهم، اللهم اجعل ما أصابهم رفعةً للدرجات وغفرانًـا للسيئات، واعطـف علـيهم قلوب المؤمنين والمؤمنات، اللهم ارحـم ضـعفهم، واجـبر كسرـنا وكسرـهم، وتولى أمرنا وأمرهم، يا أرحم الراحمين، نستغيث بالله لإخواننا المؤمنين نستجير بالله لإخوتنا المؤمنين من هم الدنيا وعـذابها وتكالـب الأعـداء، اللهـم أغثنـا وأغث إخواننا، وارحمنا وارحم إخواننـا، اللهـم انشرـ الإسـلام وأهـل وأعـز الإسلام وأهله واغنهم من واسع فضلك يـا رب العـالمين، اللهـم اغـنهم مـن

واسع فضلك يا أرحم الرحمين، اللهم اجعلنا من أسعد عبادك في رحمتك وبرك وعفوك وكرامتك يا أرحم الراحمين، اللهم اختم لنا شهر رمضان بالعفو والصفح والبر والغفران، وجنبنا السعير والنيران، وآمِنا في أنفسنا في الأنفس والأهل والولدان، يا أرحم الراحمين ألطف بنا في ما يكون وما كان واغفر لنا بمغفرتك يا حليم يا رحيم يا رحمن، رب اغفر وارحم تجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم، اللهم اجعل علمنا وسيلة إليك، اللهم اجعله وسيلة ترضيك عنا واجعل ما تعلمنا وعلمنا خالصًا لوجهك الكريم موجبًا لرضوانك العظيم، اللهم إنا نسألك علمًا يقربنا إليك، ونسألك علما يدلنا عليك، ونسألك أن تجيرنا من الفتن والمحن وزيغ القلوب، وطمس البصائر، اللهم إنا نعوذ بوجهك من طمس البصائر وزيغ القلوب، آمنا برحمتك وثبتنا على الصراط حتى نلقك وأنت راض عنا غير مبدلين ولا خزايا ولا نادمين برحمتك يا أرحم الرحمين، اللهم اغفر لعلماء الإسلام والمسلمين، اللهم اغفر لأمواتهم وارحمهم واجزهم عنا وعن الإسلام خير ما جزيت عالمًا عن علمه، وشيخًا عمن علمه يا أرحم الراحمين نور قبورهم، اللهم نور على أئمة الإسلام، ودواوين العلم والمعمل وأئمة الهدي نور عليهم قبورهم وارفع درجاتهم واجزهم عنا خير الجزاء، اللهم ارزقنا حسن التأسي بهم، في ما يرضيك عنا وعنهم يا رب العالمين، اللهم إنا نعوذ بك من الهوى والردى، واعصمنا يا من جل وعلا وخذ بناصيتنا لكل بر وتقوى، رب اغفر واحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز

الأكرم، اللهم لك الحمد على نعمتك، ولك الحمد على فضـلك، ولـك الحمـد على كرمك، هذا من فضل ربنا ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَـا كُنَّـا لِنَهْتَـدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِـالْحَقِّ﴾، سـبحان ربـك عـما يصـفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.